

الشهاب المرصود

لنسف مزاعم أدعياء شعب هود

قَالَ

أبي عبدالله

محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد باجمال

قدم له

فضيلة الشيخ العلامة

أبو عبدالرحمن يحيى بن علي بن أحمد الحجوري

مقدمة فضيلة شيخنا العلامة أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حَفِظَهُ اللهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فقد قرأت رسالة أخينا الشيخ الفاضل محمد بن عبدالله باجَمَّال حَفِظَهُ اللهُ بعنوان: "الشهاب المرصود لنسف مزاعم أديعاء شعب هود".

فرد بها على هذه الادعاءات الباطلة، وأفاد ببحث علمي جيد للمسألة:

أن تلك الادعاءات: أن قبر نبي الله هود في ذلك الموضع لا أصل له يثبت، وإنما بنى بعض القبوريين الخرافيين هذه الدعوى على ما لا أساس له من الصحة، وأجلب عليهم الشيطان بخيله ورجله حتى شدوا إلى ذلك الموضع الرواحل، ونحروا عنده النحائر، وعملوا فيه نظير ما يعمل حجيج بيت الله الحرام، واقترفوا صنوفاً من مغضبات الله ﷻ: من الشراكيات، والبدع والخرافات، والتغدير بالناس بنقل الحكايات المكذوبة والمنامات.

فأوضح الشيخ محمد في هذه الرسالة المختصرة: ذلك المنكر بما يجب على مُقْتَرِفِهِ أن يبادر بالتوبة، والتحذير منه والحدز.

كتبه:

يحيى بن عبد الله الحجوري

في الثالث عشر من شهر الله الحرم

عام سبع وثلاثين وأربعمائة وألف

للهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنار الأرض بكلمة التوحيد، وبعث أنبياءه لصحيح التجريد، ومحاربة دعاة الشرك والتنديد، والصلاة والسلام على عبده ورسوله ذي الخلق الفريد، والنصح الرشيد، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتمجيد، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المزيّد، أما بعد:

فإن من المنكرات العظيمة، والموبقات الجسيمة، التي ابتليت بها حضرموت: (هو الشعبُ المنسوب لنبي الله هود عليه السلام) شرقي حضرموت، والذي اتخذ الصوفية عيداً شهيراً، واحتفالاً سنوياً كبيراً، جعلوا له المناسك والمراسيم، والطقوس والآداب والتعاليم، ورغبوا فيه أياً ترغيب، وأشادوا لحضوره بمختلف الأساليب، مما أوجب على دعاة الحق والتوحيد والسنة: كشف خباياها، وتعرية زواياها، وإظهار بطلانها، وإعلان نكرانها، خطابةً وكتابةً، ونثراً وشعراً، ومبسوطاً ومختصراً؛ فإن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة، ولا ظهور إلا لأهل الحق والجماعة ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿الفرقان: ٢٠﴾، وقال عليه السلام - كما في الحديث المتواتر -: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»، والله در الشاعر إذ يقول:

لا تخش من بدع لهم وحوادث مادمت في كنف الكتاب وحرزه
من كان حارسه الكتاب ودرعه لم يخش من طعن العدو ووخزه
لا تخش من شبهاتهم واحمل إذا ما قابلتك بنصره وبعزه
والله ما هاب امرؤ شبهاتهم إلا لضعف القلب منه وعجزه

ومشاركة مني في نصرّة التوحيد والسنة، ولمن سبق في تفنيد هذه الفتنة: كتبت هذه الرسالة على

وجه الاختصار، سائلاً المولى حصول النفع بها والاعتبار، وربتها على النحو التالي:

أولاً: تمهيد، وتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجوب اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

المبحث الثاني: خطورة الافتتان بالقبور.

المبحث الثالث: موقف الصحابة من البناء على القبور والمشاهد، وشد الرحل إليها.

ثانيًا: قسّمت مواضيع الرسالة إلى ثمانية فصول وخاتمة:

الفصل الأول: هود عليه السلام ودعوته إلى التوحيد، ومنابذة الشرك وأهله.

الفصل الثاني: شعب هود حقيقة أم خرافة، وما هي أدلتهم على إثباته.

الفصل الثالث: من أول من زار هذا الشعب، ومتى تأسست الزيارة العامة.

الفصل الرابع: حجج الصوفية على شرعية زيارة شعب هود عليه السلام.

الفصل الخامس: كشف دعوى كاذبة من الصوفية.

الفصل السادس: شنائع الصوفية وطوامهم الواقعة في زيارة الشعب.

الفصل السابع: موقف كبار الصوفية من هذه الشنائع؟.

الفصل الثامن: صور من غلو الصوفية - نثرًا وشعرًا - في تمجيد هذا الشعب.

الخاتمة: نداء لكل مسلم غيور.

وأشكر - بعد شكر الله - لشيخنا العلامة يحيى الحجوري اطلاعه وتقديمه، وكذا شعراء أهل

السنة في نصرتهم للحق، وكل من أفادني بفائدة أو تنبيه، أو زودني بمراجع متعلقة بهذا البحث. ^(١)

وأسأل الله: أن يبارك فيمن قام بطباعة الكتاب من ماله الخاص، وأن يغفر زلته، ويُعلي درجته،

ويُحسن خاتمته، ويُصلح ذريته، ويَهْدِي أهله وقرابته.

كتبه: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد باجمال

ليلة النحر عاشر ذي الحجة عام ١٤٣٨هـ بمسجد الفرقان - الحوطة - حضرموت

(١) وأخص بالذكر: أخي الفاضل أبا عبد الرحمن عمر بن صبيح، فقد بذل جهدًا كبيرًا في توفير أهم المراجع بارك الله فيه وفي

صحته ووقته، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

تمهيد

المبحث الأول: وجوب اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

يقول الله ﷻ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، ويقول: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥]، ويقول: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، ويقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الحج: ١٨]، ويقول: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ففي هذه الآيات: يأمر الله ويُرشد نبيه ﷺ وأمته إلى اتباع ما أنزله من القرآن والسنة، والتزام صراطه، والحذر من مجانبته وسلوك غير سبيله؛ لما في ذلك من الأخطار العظيمة، والعواقب الوخيمة، والمخالفات الجسيمة، وقد قال النبي ﷺ: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟» رواه مسلم (١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه. وله (٨٦٧) عنه رحمته الله قال رحمته الله: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

وقال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها. وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وقال: «فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة»، أخرجه أحمد (١٢٦/٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وغيرهم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

وقال رحمته الله في أحاديث الحوض المتواترة في الصحيحين وغيرهما: «سحقا سحقا لمن غيّر وبدل».

ففي هذه الأحاديث الصحاح الصراح:

- ١- الأمر بالتمسك بالكتاب والسنة، والأخذ بهما، والسير عليهما.
- ٢- بيان أن الهداية منوطة بالاعتصام بالكتاب والسنة.
- ٣- أن كتاب الله هو خير الكلام، وأن هدي محمد ﷺ هو خير هدي.
- ٤- أن شر الأمور محدثاتها، وأن كل بدعة ضلالة.
- ٥- أن الأعمال المحدثثة وإن جهد فيها أصحابها فهي مردودة عليهم لا تقبل.
- ٦- أن الإحداث سبب كبير لمنع أهله من الشرب من حوض النبي ﷺ.

المبحث الثاني : خطورة الافتتان بالقبور والبناء عليها

❖ ألا وإن من الفتن العظام التي هجمت على بلاد المسلمين -إلا من رحم الله-، وتوغلت في صفوفهم، وباضت وفرخت، وفشا ضررها واستطار: هي فتنة التعلق بالقبور، والبناء عليها، وزخرفتها، وشد الرحل إليها، وتعظيمها، والصلاة إليها، وسؤال أهلها، والتذلل والانكسار وتكريغ الحدود عندها، والتمسح بها، والتبرك بترابها، وبذل الأموال والندورات الطائلة لها، وتحديد أوقات معلومة لزيارتها، والاجتماع حولها، وترويج الأحاديث المكذوبة حثًا عليها، وترغيبًا للناس فيها.

هذه الفتنة التي صرفت قلوب أهلها عن الله، وشغلتهم عن سبيل رضاه، حتى لا تكاد تجد بكاء منهم ولا خشوعًا، ولا انكسارًا في صلاتهم وعبادتهم ولا خضوعًا، مثل ما يكون لها عند قبور أوليائهم، وأضرحة كبرائهم، ومدافن ساداتهم.

وقد حذر النبي ﷺ من هذه الفتنة تحذيرًا بالغًا في مواطن مختلفة، وأوقات متفاوتة، خصوصًا قبل وفاته، وإليك بعضها:

- ١- قال النبي ﷺ لما حضرته الوفاة: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، رواه البخاري (٤٣٥-٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠-٥٣١) عن عائشة وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم.
- ولأحمد (١٨٤/٥ و ٢٠٣) نحوه عن زيد بن ثابت وأسماء رضي الله عنهما -وهما في الشواهد-.

٢- وقال النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب رضي الله عنه.

٣- وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه: آخر ما تكلم به النبي ﷺ: «أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، رواه أحمد (١/ ١٩٥)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٤٤)، والدارمي (٢٥٤٠)، بسند صحيح.

٤- وقال النبي ﷺ: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد»، رواه أحمد (١/ ٤٠٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، عن ابن مسعود رضي الله عنه بسند حسن.

٥- وقال عليه السلام: «اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦)، والبخاري (٩٠٨٧)، وأبو يعلى (٦٦٨١) بسند حسن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٦- وقال عليه السلام: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كنتم فصلوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني»، أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود (٢٠٤٢) بسند حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٧- وقال عليه السلام: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»، أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وهو حديث حسن.

ففي هذه الأحاديث النبوية:

أولاً: التحذير من التشبه باليهود والنصارى في اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، والبناء. ثانياً: وأن النهي عن ذلك كان في آخر أيامه وقبل وفاته عليه السلام؛ ليؤكد خوفه على أمته من التأسّي بأهل الكتاب واتباعهم، ولذلك:

ثالثاً: دعا عليه السلام ربّه عز وجل ألا يجعل قبره وثناً.

رابعاً: ونهى أن يُجعل قبره عيداً.

قال الإمام الشافعي رحمته الله في «الأم» (١/ ٢٧٨): وأكره أن يبنى على القبر مسجد، وأن يسوى أو يصلى عليه وهو غير مسوى، أو يصلى إليه. وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء.

أخبرنا مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقى دينان بأرض العرب».

وأكره هذا للسنة والآثار، وأنه كره -والله تعالى أعلم-: أن يُعَظَّم أحدٌ من المسلمين يعني: يُتخذ قبره مسجدًا، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعد، فكُره -والله أعلم- لئلا يوطأ، فكُره -والله أعلم- لأن مستودع الموتى من الأرض ليس بأنظف الأرض، وغيره من الأرض أنظف. قلت: أبان الإمام الشافعي رحمته كراهية البناء على القبور لأمر منها -وهو مرادنا هنا-: تعظيم المقبور والافتتان به.

وقال العلامة النووي -الشافعي المذهب- في شرح حديث جندب رضي الله عنه السابق ذكره في «صحيح مسلم» (٥٣٢): قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا؛ خوفًا من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية. اهـ.

فإن قيل: وهل الكراهة هنا تنزيه أم كراهة تحريم؟

قال ابن حجر الهيتمي -الشافعي المذهب- في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٢٤٦) ناقلًا عن غيره مقرًا له: قال بعض الحنابلة: قَصِدَ الرجل الصلاة عند القبر متبرِّكًا بها، عين المحادة لله ورسوله، وإبداع دين لم يأذن به الله؛ للنهي عنها، ثم إجماعًا؛ فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك: الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، أو بناؤها عليها.

والقول بالكراهة محمول على غير ذلك؛ إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ لعن فاعله، وتجب المبادرة لهدمها، وهدم القباب التي على القبور؛ إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أُسست على معصية رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة. اهـ المراد ولم يعقب عليه بشيء.

وقد صرح بتحريم البناء الحافظ العراقي كما في «فيض القدير» (٥/ ٢٧٤) وأقره المناوي. ولهذا قال العلامة النووي مستدرِّكًا في «المجموع» (٣/ ١٥٨): قال أصحابنا: ويكره أن يصلي إلى القبر. هكذا قالوا: يُكره! ولو قيل: يحرم؛ لحديث أبي مرثد وغيره مما سبق لم يبعد. اهـ.

فلا يليق أن نظن بعلمائنا أنهم في أمر قد يؤدي للكفر يقصدون بالكراهة كراهة تنزيه، وهو مُصَدَّرٌ باللعن، والكراهة تُطلق على التحريم في القرآن، وكذا عند المتقدمين، قال تعالى بعد أن نهى عن كبائر السيئات من الشرك، وعقوق الوالدين وغيرهما: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨]. قال الحافظ ابن كثير رحمته - الشافعي المذهب - في "البداية والنهاية" (٢ / ١٤٥) بعد أن أورد أدلة النهي عن التشبه بأهل الكتاب، ومن ذلك البناء على القبور:

والمقصود من هذا الإخبار عما يقع من الأقوال والأفعال المنهي عنها شرعاً مما يشابه أهل الكتاب قبلنا: أن الله ورسوله ينهيان عن مشابهتهم في أقوالهم، وأفعالهم، حتى ولو كان قصد المؤمن خيراً؛ لكنه تشبّه، ففعله في الظاهر فعلهم، وكما نُهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لثلا تشابه المشركين الذين يسجدون للشمس حينئذ وإن كان المؤمن لا يخطر بباله شيء من ذلك بالكلية ... فقد روى الإمام أحمد، والترمذي، من حديث عبدالله بن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

فليس للمسلم: أن يتشبه بهم، لا في أعيادهم، ولا مواسمهم، ولا في عباداتهم؛ لأن الله تعالى شَرَفَ هذه الأمة بخاتم الأنبياء الذي شرع له الدين العظيم القويم، الشامل الكامل، الذي لو كان موسى بن عمران - الذي أنزلت عليه التوراة -، وعيسى بن مريم - الذي أنزل عليه الإنجيل - حَيَّيْن لم يكن لهما شرع متبّع، بل لو كانا موجودَيْن، بل وكل الأنبياء، لما ساغ لواحد منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرفة المكرمة المعظمة، فإذا كان الله تعالى قد مَنَّ علينا بأن جعلنا من أتباع محمد ﷺ فكيف يليق بنا أن نتشبه بقوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل، قد بدلوا دينهم، وحرفوه وأولّوه، حتى صار كأنه غير ما شرع لهم أولاً.

ثم هو بعد ذلك كله منسوخ، والتمسك بالمنسوخ حرام لا يقبل الله منه قليلاً ولا كثيراً، ولا فرق بينه وبين الذي لم يُشرع بالكلية، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. اهـ.

شبهة والجواب عليها

فإن استدل مستدل على جواز بناء القباب والمشاهد على قبور الأنبياء والصالحين بقول الله ﷻ في

سورة الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

قلنا: الجواب عليها من وجوه:

أولاً: هذا ذكره الله سبحانه لا على وجه الإقرار، وإنما هو يحكي قولهم، وما كان من شأنهم.

ثانياً: أن هذا من عمل أهل الكتاب كما أوضحته الأحاديث السابقة، والسنة تفسر القرآن.

ثالثاً: أن القائلين: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ مشركون، قاله بعض المفسرين.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" عند هذه الآية: حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: إنهم المسلمون منهم. والثاني: أهل الشرك منهم، فالله أعلم.

والظاهر: أن الذين قالوا ذلك: هم أصحاب الكلمة والنفوذ. ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه

نظر. اهـ المراد. قلت: فلا حجة في هذه الآية على ما يريدون حيثئذ.

رابعاً: لو سلمنا أنه من فعل المسلمين، فليس في الآية أنهم كانوا صالحين متبعين للأنبياء ﷺ.

خامساً: أن الآية صريحة في إضافة هذا العمل لأهل الغلبة المشعر باتباع الهوى، فلذا لم يمدحهم.

سادساً: لو سلمنا أنهم كانوا صالحين وكان شرعاً لهم - وليس شرعاً لهم أبداً لأنهم ملعونون

بلسان نبينا ﷺ -، فشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا حتى يأتي إقراره في شريعتنا، وقيل: إنه شرع لنا ما لم

يرد ما ينسخه، وقد رأيت الأحاديث المتكاثرة في نهي النبي ﷺ عن التشبه بأهل الكتاب في اتخاذ

قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأنه قاله ﷺ قبل موته في مرضه الذي لم يقم منه، وأنه لعنهم،

وهذا كله يدل على أنه ليس من شرعهم، فتأمل.

واليك نص عن إمام من أئمة الشافعية يبطل احتجاج القبورين بهذه الآية:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (١١٦/٢):

واختلفوا في أمرهم فقائلون يقولون: ﴿أَبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ أي: سدوا عليهم باب الكهف؛ لئلا

يخرجوا، أو لئلا يصل إليهم ما يؤذيهم.

وآخرون - وهم الغالبون على أمرهم - قالوا: ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ أي: معبدًا يكون مباركًا لمجاورته هؤلاء الصالحين.

وهذا كان شائعًا فيمن كان قبلنا، فأما في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا. اهـ.

وقال في «تفسيره»: والظاهر أن الذين قالوا ذلك: هم أصحاب الكلمة والنفوذ. ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد» يحذر ما فعلوا. وقد رُوينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق، أمر أن يخفى عن الناس، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده، فيها شيء من الملاحم وغيرها. اهـ.

قلت: فأين أدعياء الشافعية من كلام هذا العلم الهام، وإنما يأخذون من كلامه وكلام أمثاله ما يوافق أهواءهم، ويقوي باطلهم، ويلبسون به على رعاي الناس.

وقال القرطبي في «تفسيره» عند هذه الآية (٢٤٢/١٣): اتخذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها، إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز.

ثم ذكر بعض الأدلة السابقة وقال: قال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد. اهـ. وانظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١٢٧-١٢٨).

شبهة أخرى والجواب عليها

وإن استدلل مستدلٌّ على جواز اتخاذ قبور الأنبياء مساجد بأن قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهم في المسجد.

قلنا: والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

أحدها: أن حجرة عائشة رضي الله عنها ليست من المسجد أصلاً، بل هي مستقلة، وبقيت كذلك طوال الخلافة الراشدة، بل قال عمر الفاروق فيه مع بقية الحُجَر: «إنه لا سبيل إليها» كما عند ابن سعد في

الطبقات (٢١/٤) بسند رجاله ثقات، إلا أن سالماً أبا النضر لم يدرك عمر رضي الله عنه.

ثانيها: أن الحجرة هي التي أُدخلت في توسعة المسجد، والمسجد مبني قبلها.

ثالثها: أن الحجرة أحيطت بجدران أخرى حازرة لها، مخرجة لها من المسجد.

رابعها: أن جداره منحرف بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى.

خامسها: أن حُجِرَ نسائه عليه السلام هُدمت؛ لأنها حُولت مسجداً بخلاف حجرة عائشة عليها السلام لم تهدم دلالة على أنها ليست مسجداً.

سادسها: أن إدخال الحجرة في التوسعة لم يكن بوصية رسول الله عليه السلام وأمره، ومضت الخلافة الراشدة ولم يكن فيها شيء، فلما كانت خلافة الوليد بن عبد الملك ^(١) -وقد توفي أكثر الصحابة- أمر بذلك، وقد رُوي عن عروة بن الزبير إنكاره خشية أن يُتخذ مسجداً، كما في كتاب السمهودي "خلاصة الوفا" (٢/ ١٢٩)، وانظر: "البداية والنهاية" (٩/ ٧٤-٧٥).

قال العلامة النووي -الشافعي المذهب- في "شرح مسلم" (٥٣٢) تحت حديث جندب عليه السلام السابق ذكره: قال العلماء ^(٢): إنما نهى النبي عليه السلام عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً؛ خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة ^(٣) -رضوان الله عليهم أجمعين- والتابعون، إلى الزيادة في مسجد رسول الله عليه السلام حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، -ومنها: حجرة عائشة عليها السلام مدفن رسول الله عليه السلام، وصاحبيه أبي بكر وعمر عليه السلام -بنوا على القبر حيطاً مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام، ويؤدى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، والله تعالى أعلم بالصواب. اهـ. وانظر: "المفهم" (٢/ ١٢٨).

وقال العلامة ابن القيم رحمته في "نونيته":

(١) ذكر الطبري في "تاريخه" أنه كان سنة ٨٨هـ، إلا أنه من طريق الواقدي وهو متروك بالاتفاق، فلا يعتمد هذا التحديد على روايته، ولو سُلّم بصحته فالعبرة بحديث النبي عليه السلام، وما كان في زمن الخلفاء الراشدين عليهم السلام.

(٢) وهذه إشارة إلى إجماعهم أو اتفاقهم، أو هو قول أكثرهم.

(٣) هذا لم يكن في زمن الصحابة كما تقدم.

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه فعلَ النصرارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا أن نُصَيِّرَ قبره عيِّداً حذارِ الشُّركِ بالرحمن
ودعاً بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجاب ربُّ العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عِزَّةٍ وحمايَةٍ وصِيان
ولقد غدا عند الوفاة مصرحاً باللعن يصرخ فيهم بأذان
وعنى الألى جعلوا القبور مساجداً وهم اليهود وعابدو الصلبان
والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبوه بالحيطان
قصدوا إلى تسنيم حجرته ليمـ تنع السجود له على الأذقان
قصدوا موافقة الرسول وقصـ هذه التجريد للتوحيد للرحمن
يا فرقةً جهلت نصوصَ نبِيهم وقُصُودَه وحقيقةَ الإيمان
فسطوا على أتباعه وجنوده بالغى والعدوان والبهتان
لا تعجلوا وتَيَيَّنُوا وتَثَبَّتُوا فمصابكم ما فيه من حيران
قلنا الذي قال الأئمة قبلنا وبه النصوص أتت على التبيان

المبحث الثالث : موقف الصحابة من البناء على القبور، وشد الرحل إليها

اسمع - وفقك الله لطاعته، وسبيل مرضاته - إلى بُبْدٍ من أقوال الصحابة رحمهم الله النيرة، وأفعالهم الخيرة؛ لتكون نبراساً لك في طريقك، وضياء يشع في سبيلك، حتى تسلم من شُبُه المشبهين، وتلبس الملبسين.

١ - قالت أم المؤمنين عائشة رحمها الله بعد روايتها لحديث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم المتقدم «لعنة الله على اليهود...»: «ولو لا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.

٢- وأنكر أبو بصرة الغفاري رحمته الله على أبي هريرة رحمته الله ذهابه إلى جبل الطور، فقبل منه إنكاره ولم يخالفه. أخرجه الطيالسي (١٣٤٨ و ٢٥٠٦)، وأحمد (٧/٦)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٥٧/٢) بسند صحيح، وأخرجه أحمد أيضًا من وجه آخر (٣٩٧/٦) بسند حسن.

٣- وعن قزعة، قال: سألت ابن عمر آتي الطور؟ قال: دع الطور ولا تأتها، وقال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. رواه ابن أبي شيبة (٣٧٤/٢)، والأزرقي في "أخبار مكة" (ص ٣٠٤) بسند صحيح.

٤- ونهى عنه أبو سعيد رحمته الله كذلك، أخرجه أحمد (٩٣/٣) وفيه: شهر وليث بن أبي سليم. وعمدت هؤلاء الجبال في ذلك: هو قول رسول الله ﷺ: «لا تُشد - وفي رواية - لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا».

فإذا عرفت: أن هذا هو منهج الصحابة الكرام رحمهم الله وطريقهم، فالزم غرضهم، وتمسك بعلومهم، فقولهم مقدم على قول غيرهم، فقد قال تعالى مزكيًا لهم، مشيدًا بإيمانهم، دالًا بسلوك طريقتهم: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْكُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نَولُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. وأخبر سبحانه عن رضاه عنهم، فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وأبان جل شأنه هلاك من حاد عنهم، فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلَّهِ مَا تَوَلَّى وَصُلهٖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبَت النجومُ أتى السماء ما توعد. وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبْتُ أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»، أخرجه مسلم (٢٥٣١) من حديث أبي موسى رحمته الله.

ففي هذه الآيات والحديث: بيان صريح أن الهداية بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ لا تتم إلا بها كان عليه أتباع نبيه ﷺ وهم الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وهم أمانة لهذه الأمة إذا كزمت

غرزمهم، وأخذت بنصحهم، وسارت على منهاجهم، فمن خالف سبيلهم، وجانب طريقتهم، مختاراً قاصداً بعد بيان الحجة، ووضوح المحجة، كان مشاقاً لهم، وقد تُوعِد عليه بدخول النار.

أما ما جاء عن عدد من علمائنا: من تجويز شد الرحل إلى قبر نبينا ﷺ، أو قبور الصالحين فاجتهاد مخالف للصواب مع إجلالنا لهم، وحفظ مكانتهم، والحق أحق أن يتبع.

ومع هذا فقد كذب كثير من المغرضين على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته وقالوا: إنه حرم زيارة قبور الأنبياء والصالحين مطلقاً، ودافع عنه الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (١٤/ ١٢٤) بعد أن ذكر قصة فيها التخرص عليه، فقال: فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الإسلام، فإن جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذِكْر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور. وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها، ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة في هذه الوجهة في الفتيا، ولا قال: إنها معصية، ولا حكى الإجماع على المنع منها، ولا هو جاهل قول الرسول: «زوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة»، والله سبحانه لا يخفى عليه شيء، ولا يخفى عليه خافية، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. اهـ.

الفصل الأول: هود عليه السلام ودعوته إلى التوحيد ومناذرة الشرك وأهله

❖ دعوة نبي الله هود عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له: قال عليه السلام: ﴿وإلى عادٍ

أخاهم هوداً قال يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُورُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ ٥٠ يَنْقُورُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُنُودَكُمْ

﴿هود: ٥٠-٥٢﴾.

وقال: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا

اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا

اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿ وهو معنى الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له - كما تقدم في الآيات السابقة -، ثم

أخبرهم بأنه لا يطلبهم حظاً من حظوظ الدنيا ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ثم ذكّرهم بنعم الله عليهم، وأنه يخاف عليهم الهلكة إن أصرّوا على كفرهم به وتكذيبه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ

رَبْعٍ عَايَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ (١٣٣) وَجَنَّتِ وَعْيُونِ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ فما وجد منهم إلا الاستكبار والتعنت والإصرار على الكفر: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ

عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٦].

قال الحافظ ابن كثير - الشافعي المذهب - رحمه الله: في "البداية والنهاية" (١/١٢٣): والمقصود: أن

عاداً كانوا عرباً جفاة كافرين عتاة متمردين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم

إلى الله، وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له، فكذبوه وخالفوه وتنقصوه، فأخذهم الله أخذ عزيز

مقتدر، فلما أمرهم بعبادة الله ورغبهم في طاعته واستغفاره، ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة،

وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة. اهـ. ماذا كان جوابهم له؟.

﴿قَالَ أُمَمَلًا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾ فرد

عليهم: ﴿قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا

لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (١٢٨) أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ

جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿

[الأعراف: ٦٦-٦٩].

وفي سورة هود ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴿فرد عليهم مقالاتهم وإفكهم، وأظهر براءته منهم ومما يعبدون من دون الله، وأنه متوكل على الله إن هم مكروا به، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ (هود: ٥٣-٥٧).

وفي سورة الأحقاف: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىكُمْ قَوْمًا بَهِلُونَ﴾ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرِنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٢ - ٢٥).

فلما أنكروا دعوته لعبادة الله وحده بقولهم: ﴿أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أخبرهم بغضب الله عليهم، وحلول نقمته بهم: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ أُنْجِدُوكُنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (٧١) فَأُجِيبَتْهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٧٠-٧٢).

وقال في سورة هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّبَيْنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٨) وَذَلِكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٦١) وَأَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةُ يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ لَعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود: ٥٨-٦٠).

وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَرَبِّهِمْ أَلَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٨).

وقال في سورة فصلت: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَنِي آيِدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٣-١٦].

❖ **قوم هود ظلموا أنفسهم:** ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة: ٧٠].

❖ **قوم هود أهل استكبار وعناد وإعراض:** ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم: ٩-١٠].

❖ **قوم هود أهل تكذيب:** قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُا مِعْطَلَةً وَقَصِرَ مَشِيدِ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٢-٤٦].

وقال **تعالى**: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٣﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْرَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهُا مِنْ فَوَاقٍ ﴿ص: ١٢-١٥﴾.

وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿ق: ١٢-١٥﴾.

❖ **عقوبة الله لقوم هود إذ كذبوا نبيه، وأصروا على شركهم بالله متحدين، ومستخفين بعقوبة الله لهم:** ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ ﴿الذاريات: ٤١-٤٢﴾.

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿النجم: ٥٠﴾.

وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَّخِسَ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَزِيغُ النَّاسِ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْفَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ سَرَّاهُ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿القمر: ١٨-٢٢﴾.

وقال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿الْحَاقَّة: ١-٨﴾.

وقال **تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿الفجر: ٦-١٤﴾.

الفصل الثاني: شعب هود حقيقة أم خرافة، وما هي أدلتهم على إثباته

❖ ألا وإن من أعظم زياراتهم المعقودة شرًا وإفكًا: لزيارتهم إلى القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام أسفل وادي حضرموت، هذه الزيارة التي جعلوا لها من المناسك، والطقوس، والمراسيم، والأعمال، ما يضاھون به حج بيت الله الحرام بل أعظم، وما يرتكبونه فيها من صنوف الشراكيات، وأنواع الخرافات، التي لا صلة لها بدين نبينا محمد ﷺ ولا بسائر الأنبياء عليهم السلام، لا من قرب ولا من بعد - كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الفصل السادس (ص ٦٢) -.

بل إن نصوص الوحيين قاضية بإبطالها، والبعد عنها، والحكم على من خاض فيها بالشراكيات ومظاهر الوثنية - بعد بلوغ الحجة، واتضح المحجة - بردته وخروجه من دائرة الإسلام.

ما هو مستند القبوريين وعمدتهم في تحديد قبر نبي الله هود عليه السلام في ذلك الشعب؟.

الجواب: مستندهم يعود إلى خمسة أمور:

أحدها: أثر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثانيها: أقوال بعض المؤرخين.

ثالثها: المكاشفات والإلهام والمنامات.

رابعها: الاستفاضة.

خامسها: الاستصحاب.

دليلهم الأول: أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أما مستندهم الأول فهو: ما أخرجه البخاري في "تاريخه الكبير" (١/ ١٣٥)، والطبري في "تفسيره" عند قوله: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: ٢٠]، والحاكم في "مستدركه" (٤٠٦٢)، وغيرهم من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن عبدالله بن أبي سعيد الخزاعي، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه، قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول لرجلٍ من حضرموت: أَرَأَيْتَ كَثِيرًا أَحْمَر، تخالطه المدرة الحمراء بذي أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، هل رأيته؟ قال:

نعم، والله إنك لتنتعت نعت رجلٍ رآه، قال: لا، ولكنني حُذِّثُ عنه، وفيه قبر هود صلوات الله عليه، عند رأسه سدره، إما سَلَم، وإما سِدْرَة.

درجة هذا الأثر: مدار هذا الأثر على محمد بن إسحاق، عن الخزاعي هذا، وقد ترجم له البخاري في "تاريخه" (١/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٧/ ٢٩٧) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ولم يرو عنه غير ابن إسحاق، فهو مجهول العين.

وابن إسحاق مدلس إلا أنه قد صرح بالتحديث عند البخاري في "تاريخه".

ورواه عن ابن إسحاق اثنان:

١- هارون بن أبي عيسى الشامي، كما في "تاريخ البخاري".

٢- سلمة بن الفضل وهو الأبرش، كما في "تفسير الطبري"، و"مستدرك الحاكم".

قال الحافظ ابن حجر -الشافعي المذهب- في ترجمة هارون من "التقريب" (٧٢٣٧): مقبول. اهـ.

أي: إن توبع وإلا فلين.

وقال في ترجمة سلمة من "التقريب" (٢٥٠٥): صدوق كثير الخطأ. اهـ.

قلت: فيقوي أحدهما الآخر وتبقى العلة في جهالة الخزاعي.

ويزعم الخرافيون: أن هذا الأثر لا ينزل عن درجة الحسن؛ لجهلهم بعلم الحديث، وتطفلهم عليه، أو لتغافلهم له، وتعاميهم عنه.

قال الحافظ ابن حجر -الشافعي المذهب- رحمه الله في "نزهة النظر" (ص ٥٠):

فإن سُمِّي الراوي وانفرد راوٍ واحدٌ بالرواية عنه، فهو مجهول العين، كالمبهم، فلا يقبل حديثه، إلا

أن يوثقه غير من ينفرد عنه على الأصح، وكذا من ينفرد عنه إذا كان متأهلاً لذلك. اهـ.

وعمدوا إلى تقوية هذا الأثر بقول بعض المفسرين الذين بنوا قولهم على صحة الأثر، بل إن منهم

من قال كالإمام البغوي -الشافعي المذهب- في "تفسيره" (٣/ ٢٤٦): وروى عن علي رحمه الله. اهـ.

هكذا بصيغة التمريض التي تنبئك عن عدم ثبوته، أو هو مجرد خبر منقول يحتاج إلى بحث ونظر.

وأما قول الحافظ ابن كثير "في تفسيره": وهذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن، وأن هودًا عليه السلام دفن هناك. **اهـ** فمبناه كما تقدم على صحة الأثر، وقد عرفت أنه لا يصح.

ولهذا ذكره بصيغة التمريض في "البداية والنهاية" (١/ ١٣٠) فقال: ورؤي عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام في بلاد اليمن.

وذكر آخرون: أنه بدمشق وبجامعها، مكان في حائطه القبلي، يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام، والله أعلم. **اهـ** ولم يجزم فيه بشيء.

ثم هذا الأثر موقوف على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلا يُقبل مثل هذا النقل إلا بمستند قرآني أو نبوي صحيح؛ لأنه من الأمور الغيبية التي لا تُعرف صحتها إلا بالوحي.

فإذا ببعض المنتصرين لهذا الأثر المدافعين عنه بجلد -وهو الشاطري- يقول: وهو في حكم المرفوع؛ لأنه مما لا مجال فيه للرأي، ولقرينة قوله: «حدثت عنه». **اهـ** من "نيل المقصود" (ص ٧٢).

وهو يريد بهذا أن عليًا عليه السلام يشير بقوله: «حدثت عنه» أي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدثه، وهذا تحميل للألفاظ ما لا تتحمل، وإن خبرًا أخذه الصحابة عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا ليهيموه أو يخفوه بمثل هذا التعبير وهم حملة الدين، ويُقال هدي سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، لسائر المسلمين - خصوصًا في مثل هذه الوقائع الماضية التي لا تُعرف إلا بدليل شرعي -.

فقد نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يتعلق بأحكام قضاء الحاجة وما دون ذلك، تبليغًا للأمانة، فهل يُتصور عنهم، أو يظن ظانٌ أنهم يكتُمون عنا خبر نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقول: «حدثت»؟!.

وقد حكم عليه بالوقف: الحافظ ابن حجر -الشافعي المذهب- في كتابه "إتحاف المهرة" (١١/ ٤٦٣) رقم (١٤٤٣٤)، وهو من أئمة علم الحديث النقاد الجهابذة.

فما لهم لا يأخذون بقول الأئمة، ويُسلمون لأهلها الأئمة، ولا يدجلون فيها على الأمة؟!.

ومما يوهن هذا الأثر ويضعفه: أنه روي من وجه آخر عن علي عليه السلام موقوفًا ومرفوعًا بما يخالف هذا الوصف والتحديد، كما عند ابن هشام في "التيجان في ملوك حمير" (ص ١٧٤-١٧٦)، وابن

عساكر في "تاريخه" (١٣٨/٣٦) من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي يحيى السخيتاني، عن مرة بن عمر الأيلي، عن الأصبع بن نباتة، قال: إِنَّا لجلوس ذات يوم عند علي بن أبي طالب عليه السلام في خلافة أبي بكر، إذ أقبل رجل من حضرموت لم أر قط أطول منه، ولا أكره وجهًا، فاستشرفه الناس وراعهم منظره، وأقبل حتى وقف فسلم وحيًا... ثم إن عليًا سأله فقال له: أعالم أنت بحضرموت؟ قال: إذا جهلتها ما أعلم غيرها. قال: أتعرف موضع الأحقاف؟ قال له: كأنك تسأل عن قبر هود النبي عليه السلام؟ قال له علي: لله درك ما أخطأت. قال: نعم، خرجت في عنفوان شبابي في غلمة من الحي ونحن نريد أن نأتي قبره لبعد صوته فينا، وكثرة ذكره، فسرنا في بلاد الأحقاف أيامًا، وفينا رجل عرف الموضع، حتى انتهينا إلى كتيب أحمر فيه كهوف مشرفة، فانتهينا إلى كهف منها فدخلناه. فأمعنا فيه طويلاً، فانتهينا إلى حجرين قد طبق أحدهما على الآخر، وفيه خلل يدخل منه النحيف متجانفًا، فدخلته فرأيت رجلًا على سرير، فإذا مسست شيئًا من جسده أصبته رطبًا لم يتغير، ورأيت عند رأسه كتابًا بالمسند: أنا هود النبي، آمنت بالله، وأشفقت على عاد بكفرها، وما كان لأمر الله مرد. فقال لنا علي عليه السلام: كذلك سمعت من أبي القاسم عليه السلام.

قلت: وهذا إسناد مظلم، وأصبع متروك رافضي، كما قال الحافظ في "التقريب" (٥٣٧). وابن الكلبي متروك كذاب شيعي، كما في ترجمته من "الضعفاء والمتروكين" (٥٦٣) للدارقطني، و"لسان الميزان"، و"سير أعلام النبلاء" (١٠١/١٠).

والعجب من المتطفلين على علم الحديث: أن يستشهدوا بهذه الرواية، ويقولوا بها الرواية السابقة مع أن سندها تالف بمرة، ومتنها يخالف ما في الرواية السابقة لو كانوا يعقلون.

وبيان هذا: أن هذا الأثر بهذه السياقة فيه ما يلي:

- ١- كهوف كثيرة، والمكان المعروف لا كهوف فيه.
- ٢- أن هودًا عليه السلام داخل الكهف، فهلا نقبوا عنه بالشيولات حتى يتوصلوا إليه!.
- ٣- أن في الكهف مدخلًا بين حجرين يمر به الرجل النحيف متجانفًا، فهلا دخلوا.
- ٤- أنه موضوع على سرير.

٥- أن عند رأسه كتابًا بالعربية، فهلا نبؤونا متى كانت الكتابة بالعربية؛ لنعرف مدى صدقهم أو علمهم!.

رواية ثالثة: ذكر المنقري في كتابه "وقعة صفين" (ص ١٢٧) عن أصبغ بن نباتة: أن عليًا عليه السلام قال: هاهنا أحد من مهرة؟ قال: فأتي بشيخ كبير، فقال: أين منزلك؟ قال: على شاطئ البحر. قال: أين من الجبل الأحمر؟ قال: أنا قريب منه. قال: فما يقول قومك فيه؟ قال: يقولون: قبر ساحر. قال: كذبوا، ذاك قبر هود.

قلت: وهذا من طريق أصبغ وقد عرفت أنه متروك.

وقد ذكره القزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" (ص ٣٧) بلا إسناد، قال: قال كعب الأخبار: كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإذا رجل قد رمقه الناس لطوله، فقال: أيكم ابن عم محمد؟ قالوا: أي ابن عمه؟ قال: ذاك الذي آمن به صغيرًا، فأومأوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال علي: ممن الرجل؟ فقال: من اليمن من بلاد حضرموت. فقال علي: أتعرف موضع الأراك والسدره الحمراء التي يقطر من أوراقها ماء في حمرة الدم؟ فقال الرجل: كأنك سألتني عن قبر هود عليه السلام؟ فقال علي: عنه سألتك فحدثني، فقال: مضيت في أيام شبابي في عدة من شبان الحي نريد قبره، فسرنا إلى جبل شامخ فيه كهوف ومعنا رجل عارف بقبره حتى دخلنا كهفًا، فإذا نحن بحجرين عظيمين قد أطبق أحدهما على الآخر، وبينهما فرجة يدخلها رجل نحيف، وكنت أنا أنحفهم، فدخلت بين الحجريين فسرت حتى وصلت إلى فضاء، فإذا أنا بسرير عليه ميت، وعليه أكفان كأنها الهواء، فمسست بدنه فكان علبًا، وإذا هو كبير العينين، مقرون الحاجبين، واسع الجبهة، أسيل الخد، طويل اللحية، وإذا عند رأسه حجر على شكر لوح عليه مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا، أنا هود بن الحلود بن عاد، رسول الله إلى بني عاد بن عوص بن سام بن نوح، جئتكم بالرسالة، وبقيت فيهم مدة عمري فكذبوني، فأخذهم الله بالريح العقيم فلم يبق منهم أحد، وسيجيء بعدي صالح بن كاله فيكذبه قومه فتأخذهم الصيحة؛ قال له علي رضي الله عنه: صدقت، هكذا قبر هود عليه السلام.

قلت: وهي كما ترى بلا إسناد، ومع ضعفها فهي تخالف ما تقدم من الروايات.

رواية رابعة: ما رواه ابن وهب في كتابه "الجامع في الحديث" (ص ٤٥) فقال: وأخبرني ابن لهيعة، عن بكر بن سودة الجذامي، قال: أتى رجل من عاد إلى علي بن أبي طالب فقال له: ممن أنت؟ فقال: من مهرة، فقال علي: ﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١].

قال ابن لهيعة: قبر هود في مهرة. اهـ.

قلت: هذا الأثر بهذا الإسناد ضعيف، له علتان:

الأولى: عبد الله بن لهيعة ضعيف مطلقاً على الصحيح من أقوال المحدثين.

ومن أطلق عليه الضعف: العلامة النووي، حيث قال في "المجموع" (٤/٦٣): وهو متفق على ضعف روايته. اهـ.

وكذا الحافظ الذهبي في "الكاشف" (١/٥٩٠)، حيث قال: العمل على تضعيف حديثه. اهـ.

وكذا الحافظ ابن الملقن في "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" (١٠/٣٧٨)، حيث قال: وفيه ابن لهيعة، وحالته معروفة. اهـ.

وكذا الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٧٧٣) حيث قال: فابن لهيعة لا يحتج به إذا انفرد، فكيف إذا خالف. اهـ.

قلت: فهؤلاء أربعة - ثلاثة منهم شوافع - كلهم يضعفون ابن لهيعة.

العلة الثانية: الانقطاع بين بكر بن سودة وعلي رحمهما الله، حيث لم يذكر له أحد رواية عن علي رحمهما الله، وعلي بالكوفة وهو بمصر.

ثم هذا الأثر فيه: أن قبر هود عليه السلام بمهرة، لا حضرموت.

والجواب على اعتمادهم على هذا الأثر بعد إيضاح ضعفه، وبيان سقمه، نقول:

أولاً: وعلى التسليم بصحته فمن أين علم علي رحمهما الله ذلك.

وثانياً: وعلى أنه علمه من النبي ﷺ فليس فيه أنه هذا المكان المعروف الآن، بل جاءت روايات

عنه في ذلك مختلفة كما تقدم، تقطع بأن ما زعمتموه لا يثبت ولا يعتمد عليه.

وثالثا: وعلى التسليم بأنه هذا المكان المعروف الآن، فمن أمر بزيارته، ورغب فيه؟

ورابعا: ثم لماذا لم يزره النبي ﷺ أو يدل عليه؟

وخامسا: ولماذا لم يزره علي عليه السلام لما كان باليمن، وهكذا معاذ بن جبل، وأبو موسى، وخالد

ابن الوليد عليه السلام؟

وسادسا: ولماذا لم يزره الصحابة الذين جاءوا في حروب الردة إلى تريم؟

وسابعا: ولماذا لم يرغبهم النبي ﷺ في زيارته لو كان معلوماً قبره، مشروعاً زيارته؟

وثامنا: ولماذا لم يزره أحد من علماء التابعين، وأتباعهم؟

وتاسعا: ولماذا لم يزره الإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهما من أئمة الدين وقد رحلوا إلى اليمن

لطلب العلم وتحصيله.

وعاشرا: ثم من أين لهم تحديد موعد للاجتماع عنده؟

وحادي عشر: ومن الذي أجاز لهم إقامة هذه المناسك التي تضاهي مناسك الحج؟

وثاني عشر: ومن أين لهم شرعية دعائه والاستغاثة به من دون الله عز وجل؟

وثالث عشر: ومن أين لهم مشروعية شد الرحل له؟

ورابع عشر: ومن أين لهم استحباب العبادة عنده؟

فهذه أسئلة لا بد أن يجيبوا عليها بحق ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

أضف إلى ما تقدم: أن الله عز وجل قد ذكر هودا عليه السلام في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، فلم يحدد قبره،

بل ولم يُشر إليه حتى إشارة، ولم يرشد إلى زيارته، ولا إلى شد الرحل إليه، ولا إلى غيره من قبور

الأنبياء والصالحين، مما يبين لك: أنه ليس مما يُتعلق به هدي قويم، ولا سبيل مستقيم.

قال الإمام المفسر المؤرخ الطبري رحمته الله في "تفسيره" عند قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ

بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١] بعد ذكر اختلاف المفسرين في تحديد موضع الأحقاف: وجائز أن يكون

ذلك جبلاً بالشام، وجائز أن يكون وادياً بين عمان وحضرموت، وجائز أن يكون الشحر، وليس في

العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قومًا منازلهم الرمال المستعالية المستطيلة. اهـ.

وهذا الكلام من هذا الإمام الذي أهملوا نقله لكافٍ في هدم ما يدندنون به من الزيارة الشريكة البدعية، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ. فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ونظيره: قول شيخ الإسلام رحمته كما في "مجموع الفتاوى" (٢٧/ ٤٤٤-٤٤٥): ولكن ليس في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها فائدة شرعية، وليس حفظ ذلك من الدين، ولو كان من الدين لحفظه الله كما حفظ سائر الدين. وذلك: أن عامة من يسأل عن ذلك إنما قصده الصلاة عندها، والدعاء بها، ونحو ذلك من البدع المنهي عنها، ومن كان مقصوده الصلاة والسلام على الأنبياء والإيمان بهم وإحياء ذكرهم فذاك ممكن له وإن لم يعرف قبورهم -صلوات الله عليهم-، وقد تقدم: أن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وما يشبه هذا من الحديث. اهـ.

قلت: ومن تأمل القرآن تأملًا دقيقًا يجد أن معرفة قبور الأنبياء ليس من دين الله؛ فإن الله قد أورد قصص الأنبياء في سور كثيرة، وكررها بأساليب مختلفة، ولم يُشر إلى مواضع قبورهم، وأماكن موتهم؛ لما في ذلك من عظيم المفساد، وبناء القباب والمشاهد، والتعلق بها في الرخاء والشدائد، ولهذا كان تحذير النبي ﷺ البالغ في مرض موته من التعلق بقبور الأنبياء والصالحين واتخاذها موضعًا للصلاة والبناء عليها، حتى قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره ﷺ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

شبهة والجواب عليها:

فإن قيل: أخرج البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لما ذكر قصة موسى عليه السلام مع ملك الموت، وأنه سأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر».

والجواب: أن رسول الله ﷺ أبهمه ولم يخبرهم بموضعه؛ لأنه ليس مأمورًا بدلهم إليه، إذ لو كان من الدين لما وسعه إلا تبليغهم إياه.

وأيضًا: الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يتكلفوا السؤال عنه والبحث، ولا عن غيره من الأنبياء، ولما فتحوا الشام ما سأل أحد منهم عنها، ولا أتاها، مع كثرة دخولهم، بل واستيطان كثير منهم فيها. فتقرر بهذا: أن إخفاء قبور الأنبياء عليهم السلام مطلوب شرعًا، صيانة لجناب التوحيد، وحتى لا يحصل الغلو وعبادتها من دون الله.

قال العراقي - الشافعي المذهب - في "طرح التثريب" (٣/ ٣٠٣): وليس في قبور الأنبياء ما هو محقق سوى قبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وأما قبر موسى فمظنون بالعلامة التي في الحديث، وقبر إبراهيم الخليل ومن معه عليهم السلام أيضًا مظنون بمنامات ونحوها. اهـ.

واليك نقلا عن عاملين، أحدهما: شافعي، والآخر: مالكي، يبطل تشبيههم بهذا الحديث:

قال العلامة النووي في "شرح مسلم" لهذا الحديث: قال بعض العلماء: وإنما سأل الإذناء ولم يسأل نفس بيت المقدس؛ لأنه خاف أن يكون قبره مشهورًا عندهم فيفتتن به الناس. اهـ المراد.

وقال ابن بطال في "شرح صحيح البخاري" (٣/ ٣٢٥) ناقلًا: ومعنى بُعِدَ منها: «رمية بحجر»؛ ليعمى قبره؛ لئلا يعبد قبره جهال أهل ملته، ويقصدونه بالتعظيم، والله أعلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أن اليهود تفعل ذلك بقوله: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر ذلك. اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله في "البداية والنهاية" (١٠/ ٢٦٢): وأصل عبادة الأصنام من المغلاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتسوية القبور وطمسها. والمغلاة في البشر حرام. اهـ.

وفي "البداية والنهاية" (١٢/ ٢٨٧) في ترجمة الخضر بن نصر الإرزلي الفقيه الشافعي، قال: وترجمه ابن خلكان في "الوفيات"، وقال: قبره يزار، وقد زرته غير مرة، ورأيت الناس يتتابون قبره ويتبركون به.

فقال الحافظ ابن كثير متعقبًا: وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور. اهـ.

قصة غريبة عن قبر هود:

قال الشلي في "المشرع الروي" (١/ ١٥٤): قال بعض أهل التاريخ: ومن عجيب ما جرى في أيام الصديق رضي الله عنه أنه حصل مطر عظيم بحضر موت فأبرز السيل بآبًا مفتوحًا فهاب الناس فتحه وظنوه

كنزاً، وكتبوا إلى الصديق عليه السلام، فأرسل أمناه ففتحوا الباب، فنفذ بهم إلى مفازة فدخلوها، فإذا فيها سرير، عليه رجل ميت، عليه حلة منسوجة بالذهب، وفي يده لوح مكتوب فيه:

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

وفي يده الأخرى خاتم مكتوب فيه: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ

لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وعند رأسه مكتوب:

يا لائمي في هجوم جاهلا عذري منقوش في خاتمي

وسيف أخضر مكتوب عليه: هذا سيف هود بن عاد بن إرم. اهـ.

وانظر: "بذل المجهود" (ص ١٠-١١) وقد عزاه إلى "تاريخ الخزرجي"، وكان إيراده لها على وجه الاحتجاج بها أن قبره في حضرموت.

قلت: وقد أخرج هذه القصة أبو الفرج النهرواني - المتوفى سنة ٣٩٠هـ - في كتابه "الجلس الصالح الكافي" (ص ٧١٢) بسند ضعيف فيه علتان:

الأولى: أحمد بن عبيد وهو ابن ناصح أبو عصيدة، قال الحافظ في "التقريب" (٧٨): لين. اهـ.

الثانية: فيه رجل مبهم لا يُدرى من هو.

تَنْبِيْهُ: وهذه الرواية المسندة فيها «سيل باليمن» ولم يقل: حضرموت، والنعارة فيها واضحة.

قصة أخرى عن قبر هود:

قال عبدالرحمن بن محمد العيدروس في "بذل المجهود" (ص ١٠) نقلاً عن شيخ بن عبدالله العيدروس: وذكر شارح الحميرية عن وهب بأن ريجاً عظيمة هبت في زمن عمر بن الخطاب عليه السلام فكشفت على منبر هود عليه السلام، وهو منبر من الذهب، مرصع بالدر والياقوت، وعتبه من الجزع الأحمر في المكان المذكور. اهـ.

قلت: وهذه القصة المذكورة بنحوها في "خلاصة السيرة الجامعة" (ص ٥-٦)، وهي كما ترى بلا إسناد إلى وهب، وبلا إسناد إلى عمر رضي الله عنه، فسندها مُطَّرَح، وليس فيها تحديد موضعه.

دليلهم الثاني: أقوال بعض المؤرخين

والدليل الثاني الذين يعتمدون عليه في تحديد قبره هو: قول جماعة من المؤرخين بأنه تحت سفح

جبل، يجتمع الناس عنده في النصف من شعبان.

١- قال عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ في كتابه "التيجان في ملوك حمير" (ص ٥٤): قال وهب: وإن الله أنزل على هود أربع صحف، ثم إن الله -تبارك وتعالى- قبض هودًا ودُفن بالأحقاف بموضع منه يقال له: الهنيق بجوار الحفيف؛ فإن نهر الحفيف أخرج الله فيه الماء المعين، وغُرست فيه الثمار من يوم أخرج الله فيه آية هود. اهـ.

٢- وقال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني -المتوفى سنة ٣٤٤ هـ- في كتابه "صفة جزيرة العرب" (ص: ٨٧): ثم ينحدر المنحدر منها إلى ثوبة -قرية بسُفلى حضرموت في وادٍ ذي نخل- ويفيض وادي ثوبة إلى بلد مهرة، وحيث قبر هود النبي ﷺ، وقبره في الكثيب الأحمر، ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف، وهو وادٍ يأخذ من بلد مهرة مسيرة أيام، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت. اهـ.

قلت: وفي هذين النقلين ما يشكك في تحديدهم للقبر بالمكان المعروف الآن، من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن قبره في الكثيب الأحمر، ولا يوجد هذا.

الوجه الثاني: أنه في كهف، ولا كهف الآن.

وقد صرح عدد من مؤرخي حضرموت وغيرهم بنحو ذلك:

أ) قال صاحب كتاب "تذكير الناس" (ص: ٢٢٨-٢٢٩): وقال سيدي علوي بن طاهر الحداد: سألت سيدي أحمد رضي الله عنه: هل عند نبي الله هود عليه السلام غار أحمر كما ذكر في رواية عن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؟ وقلت له: إن أخي عبدالله يقول: إني أظن أن الغار الأحمر الذي جاء في الرواية المذكورة هو الذي عند نبي الله هادون عليه السلام بهدون في دوعن؟.

فقال سيدي أحمد: وأنا الذي عندي هو هذا، وقد ذكر القزويني في تلك الرواية -وعنده الوجرات- وهي الأجرات المعروفة اليوم، ويكون نبي الله هادون هو المعني في تلك الرواية، وقد أشار إلى شيء من ذلك الشيخ عبد العزيز الدباغ في الإبريز. اهـ.

ب) قال محمد بن عبد القادر بامطرف في "ملاحظاته على الهمداني" (ص ٦٥-٦٦): ولقد زرت هذا القبر المزعوم سنة ١٩٥٤م فألفيته عبارة عن كوم مستطيل من الحجارة الصغيرة، طوله اثنان وتسعون قدماً، وارتفاعه في بعض جوانبه حوالي أربعة أقدام، ويقع في سفح جبل إلى الشرق من بئر برهوت، فلا كتيب أحمر، ولا كهف مشرف مما ذكره الأصبع بن نباتة، ونقله عنه الهمداني.

وقال أيضاً (ص ٦٥): أما القبر الذي يعتقد البعض من الحضارمة أنه قبر النبي هود، فهو في حقيقته مخالف للروايات الإخبارية القديمة، ومنها: رواية الأصبع والهمداني. اهـ.

ج) قال سعيد بن عوض باوزير كما في "زيارات وعادات" للصبان (ص ١٣): وقد سار النبي هود عليه السلام بعد هلاك قومه في دعوته التوحيدية إلى أن أدركته الوفاة في حضرموت، ولكن التاريخ لم يعين موضع هذا القبر، والقبر المعروف اليوم شرقي الوادي الرئيسي بحضرموت مثار للشك؛ لأسباب متعددة، فضلاً عن أنه لم تقم أدلة تاريخية تحدد موضع القبر. اهـ.

د) وقال الشيخ محمد بن أحمد بأفضل رحمته الله في كتابه "دعوة الخلف إلى طريقة السلف" (ص ٣٢١): وما ذكرت من زيارة أهالي تريم وسيون وغيرهم للقبر الذي يقال بأنه لنبي الله هود عليه السلام فعادة صوفية، وهود هو نبي عاد، وعاد أول أمة بعد قوم نوح، وتاريخهم مجهول، ... وما عُرِفَت قصة هود وقومه عاد إلا من القرآن، وأنها لو لم تُذكر في القرآن لما عرفنا عنها شيئاً، وذكرت في القرآن وسيقت للعبرة فقط، هذا ما يمكننا القول به. اهـ.

قلت: صدقت ورب الكعبة، إن الواحد اليوم يجهل سيرة بعض أجداده، بل إن العلويين لا يدرون أين قبر جدهم أحمد بن عيسى المهاجر باليقين، وإنما ليخرجوا من المأزق ادعى بعضهم الكشف عن قبره في الموضع المعروف بالحُسَيْسَة، انظر: "إدام القوت" (ص ٧٨١)، و"تاريخ حضرموت"

للحامد (٣٢٩/١)، وإذا كان الجهل التام يحصل في تحديد قبور من مات بعد الإسلام فكيف بتحديد قبر قبل بعثة محمد ﷺ وغيره من الأنبياء بقرون طويلة جداً؟!.

هـ) وقال صلاح البكري في "تاريخه" (٥١/١): وهذه الرواية مشكوك في صحتها، ويحتمل أن تكون من أخبار القصاص المنمقة. **اهـ.**

الوجه الثالث: أن عددًا من المؤرخين يقولون: إنه بالشعر، وهذا يناقض ما عليه هؤلاء اليوم.

أ) قال أبو جعفر بن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥هـ في كتابه "المحبر" (ص ٢٦٦): ثم سوق الشجر شجر مهرة، فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام. ولم تكن بها عشور؛ لأنها ليست بأرض مملكة. وكانت التجار تتخفر فيها ببني محارب بن هرب، من مهرة. وكان قيامها للنصف من شعبان، وكان بيعهم بها إلقاء الحجارة. **اهـ.**

ب) قال المقدسي البشاري المتوفى سنة ٣٨١هـ تقريبًا في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" (ص ١٠٢): قبر هود عليه السلام بالأحقاف على الساحل. **اهـ.**

ج) قال أبو علي المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١هـ في كتابه "الأزمنة والأمكنة" (ص ٣٨٤): ثم يسيرون بجميع من فيها من تجار البحر والبر إلى الشجر شجر مهرة، فيقوم سوقهم تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي عليه السلام، ويبيعونهم بما ينفق بها من الأدم، والبز، وسائر المرافق، ويشترون بها الكندر، والمر، والصبر، والدخن، ولم يكن بها عشور؛ لأنها ليست بأرض مملكة، وكان جميع من يختلف إليها من العرب بتجارة يتخفر ببني يثرب وهي تقلل من مهرة، وكانت سوقهم تقوم للنصف من شعبان، وبيعهم بها بإلقاء الحجارة. **اهـ.**

د) قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١٢٠/١): وكانوا عربًا يسكنون الأحقاف وهي: جبال الرَّمْل، وكانت باليمن من عُمان وحضرموت بأرض مُطَلَّة على البحر يقال لها: الشجر، واسم واديعهم: مُغِيث. **اهـ.**

قلت: وفي هذه النقول ما يوضح أن منازل عاد، وقبر هود عليه السلام بالشجر على ساحل البحر لا بالمكان المعروف المقصود اليوم.

وفي "تاريخ الطبري" (٢٢٢/١): أن هودًا عليه السلام ومن آمن معه رحلوا بعد نزول عقوبة الله إلى ساحل البحر.

أضف إلى ذلك: أنه بعد اختلاف عدد من المؤرخين في تحديد القبر في حضرموت، فقد خالفهم غيرهم في مكان قبر هود عليه السلام على أقوال متباينة جدًا:

القول الأول: أنه دفن بمكة، روي عن محمد بن سابط -وهو مجهول- عن النبي ﷺ مرسلاً كما في "أخبار مكة" للأزرقي (٦٨/١)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (٩٠/٧٤)، وروي موقوفاً عن الحسن كما في "أخبار مكة" للفاكهي (٢٩١/٢)، وعن عبدالرحمن بن سابط كما في "مستدرك الحاكم" (٤٠٦١)، ومقاتل ومحمد بن سابط أيضاً كما في "أخبار مكة" للأزرقي (٧٣/١) و(١٣٣/٢-١٣٤)، وأسانيدها ضعيفة.

القول الثاني: أنه دفن بقبلة مسجد دمشق، رُوي عن ابن أبي العاتكة كما في "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٩٠/٧٤).

القول الثالث: بجبل بالشام، روي عن أبي الأعيس القرشي، رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٩٦/١).

القول الرابع: في مهرة، قاله ابن لهيعة كما في "العقد الفريد" (٢٨٩/٣) لابن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ.

القول الخامس: بالعراق، قاله محمد الشهيد في كتابه "دليل الزائر إلى العتبات المقدسة في العراق" (ص ٢٣).

القول الخامس: بفلسطين، قاله عبد الوهاب النجار في "قصص الأنبياء" (ص ٥٣).

القول السادس: بسيناء، كما في "تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة" (ص ١٣٧).

القول السابع: بظفار، ذكره ابن بطوطة في "رحلته" قولاً، وهلم جرا.

قلت: وأكثر النقول على أنه بحضرموت وهو المشهور، لكن لا دليل على التحديد، مع أن جماعات من المؤرخين يحملون انتقال هود عليه السلام ومن آمن به منها بعد هلاك قومه.

دليلهم الثالث: المكاشفات والإلهام والمنامات المزعومة

والدليل الثالث الذي يعتمدون عليه في تحديد قبره هو: المنامات، والكشف، والإلهام.

قال عبدالله بن أبي بكر العيدروس كما في "بذل المجهود في خدمة ضريح سيدنا هود" (ص: ٧-٨): وهو -يعني: قبر هود عليه السلام - محقق عند ذوي البصائر والمشاهدات، من أرباب القلوب وأصحاب المكاشفات، وقد رأوا هودًا عليه السلام وشاهدوه عيانًا في اليقظة بعين الكشف، ومشاهدة العيان، في تلك البقعة الطاهرة الشريفة، والساعة المباركة المنيفة، المعروفة عند الخاصة والعامة بالنفحات السابغة العميمة، والبركات الشاملة العظيمة، وبمثابة هؤلاء المذكورين نحن زائرون، ولقبره محققون، ولقبره نائلون، وللفضل الجزيل والأجر العظيم راجون. اهـ.

وقال علي بن أبي بكر المعروف بالسكران كما في "بذل المجهود" (ص: ٩): وكثير منهم من شاهدوه عيانًا، واستفاد منه علمًا، واقتبس منه أنوارًا. اهـ.

قلت: عجبًا والله لهؤلاء الخرافيين! مشاهدة عيانٍ مع أخذ العلم عن هود عليه السلام، وما هي إلا تخيلات شيطانية، وتوهمات إبليسية!!

وقال علوي بن عبدالرحمن المشهور في قصيدة له كما في كتاب "دعوة الخلف إلى طريقة السلف" للشيخ محمد بافضل رحمته (ص: ٣٢٢):

للسلف في شعب هود أعلام عن حقيق الكشف به أقدام
راسخه دع عاذلاً قَدْ لَام فاتبعهم واترك القال

فإن قيل: وما معنى الإلهام والكشف؟.

قلنا: قال الجرجاني في كتابه "التعريفات" (ص ٥١) معرفًا للإلهام: ما يُلقَى في الروح بطريق الفيض. وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بالآية، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفيين. اهـ.

وقال (ص: ٢٣٧) معرفًا للكشف: في اللغة: رفع الحجاب.

وفي الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمر الحقيقية - وجودًا وشهودًا - اهـ.

وقال العلامة الشنقيطي في "أضواء البيان" (٣/ ٣٢٣-٣٢٤) معرفًا الإلهام في الاصطلاح: إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحى، ولا نظر في حجة عقلية، يختص الله به من يشاء من خلقه. اهـ.

وهذه المكاشفات والمنامات والإلهامات - التي اعتمدها الصوفية القبوريون - لا يثبت بها ما يخالف النصوص الشرعية، والدلائل القطعية، ولم يكن السلف الصالح، ولا علماء المسلمين، وأئمة الدين، يعتمدون عليها، ويحكمون بها، ويلتفتون إليها، بل كانوا متبعين للكتاب والسنة، سائرين وراءهما، محتجين بهما، مرشدين إليهما.

وسأذكر لك أمثلة من كلامهم في طرح الاعتماد عليها، والعمل بها، ونبدأ بذكر أحد علماء القوم وكبرائهم.

١- قال أبو الحسن الشاذلي كما في "الطبقات الكبرى" للشعراني المسمى: "لوافح الأنوار في طبقات الأخيار" (٤/٢): إذا عارض كشفك الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقُلْ لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة. اهـ.

٢- وقال العلامة النووي في "شرح مقدمة صحيح مسلم": قوله: (إن حمزة الزيات رأى النبي ﷺ في المنام فعرض عليه ما سمعه من أبان فما عرف منه إلا شيئاً يسيراً) قال القاضي عياض رحمه الله: هذا ومثله استئناس واستظهار على ما تقرر من ضَعْفِ أبان، لا أنه يُقَطَّعُ بأمر المنام، ولا أنه تبطل بسببه سنة ثبتت، ولا تثبت به سنة لم تثبت، وهذا بإجماع العلماء، هذا كلام القاضي. وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع. اهـ.

٣- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته، كما في "مجموع الفتاوى" (١١ / ٣٣٩): وكثير من المتصوفة والفقراء يبني على منامات، وأذواق، وخيالات، يعتقدونها كشفًا، وهي خيالات غير مطابقة، وأوهام

غير صادقة: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٧]. اهـ.

٤- وقال الشاطبي في "الموافقات" (٤ / ٢٤١): ودعوى الكشف ليس بدليل في الشريعة على حال، كما أنه لا يُعد دليلًا في غيرها. اهـ.

وقال أيضًا (١ / ١١٤-١١٥): العلوم المأخوذة من الرؤيا، مما لا يرجع إلى بشارة ولا نذارة؛ فإن كثيرًا من الناس يستدلون على المسائل العلمية بالمنامات وما يتلقى منها تصريحًا، فإنها وإن كانت صحيحة، فأصلها الذي هو الرؤيا غير معتبر في الشريعة في مثلها. اهـ.

وقال أيضًا في كتابه "الاعتصام" (٢ / ٩٣): وأضعف هؤلاء احتجاجًا: قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلانًا الرجل الصالح في النوم، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا. ويتفق مثل هذا كثيرًا للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي كذا، وأمرني بكذا؛ فيعمل بها، ويترك بها، معرضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يُحكم بها شرعًا على حال، إلا أن نعرضها على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة والنذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا. اهـ.

٥- وقال ابن الترمكاني الحنفي في "الجواهر النقي" (٤ / ٢٣٢): إن الشرائع لا تؤخذ من المنامات. اهـ.

٦- وقال ابن حزم في "المحلى" (٤ / ٣٤٢) نحوها، وفي (١٠ / ٢٩٢) قال: وإنما هي أحلام نائم لا يجوز أن تشرع بها الشرائع. اهـ.

٧- وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" تحت رقم (٢٠١٥): وفي هذا الحديث ... جواز الاستناد إليها -أي: الرؤى- في الاستدلال على الأمور الوجودية بشرط أن لا يخالف القواعد الشرعية. اهـ.

٨- وقال ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الكبرى" (١٨٤/٤): إن الأئمة مجمعون على أنه لا

يعمل بالإلهام في الأحكام الشرعية كما صرح به حتى شراح المنهاج في أوائل الطهارة. اهـ.

٩- وقال الألوسي في "تفسيره" عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَجِيعُوا لَهُ﴾

[الحج:٧٣]: ورأيت كثيراً منهم -يعني المتصوفة- يسجد على أعتاب حجر قبور الأولياء، ومنهم من

يثبت التصرف لهم جميعاً في قبورهم، لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوت مراتبهم، والعلماء منهم

يحصرون التصرف في القبور في أربعة أو خمسة، وإذا طُلبوا بالدليل قالوا: ثبت ذلك بالكشف.

قاتلهم الله تعالى ما أجهلهم، وأكثر افتراءهم.

ومنهم من يزعم: أنهم يخرجون من القبور ويتشكلون بأشكال مختلفة، وعلماءؤهم يقولون: إنما تظهر

أرواحهم متشكلة، وتطوف حيث شاءت، وربما تشكلت بصورة أسد، أو غزال، أو نحوه، وكل ذلك

باطل لا أصل له في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم، وصاروا

ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى، وكذا لأهل النحل والدهرية. اهـ.

١٠- وقال الشوكاني في "إرشاد الفحول" (٢٠١/٢) بعد ذكره الأقوال في الاحتجاج بالإلهام: ثم

على تقدير الاستدلال لثبوت الإلهام بمثل ما تقدم من الأدلة، من أين لنا أن دعوى هذا الفرد لحصول

الإلهام له صحيحة، وما الدليل على أن قلبه من القلوب التي ليست بموسوسة، ولا بمتساهلة. اهـ.

١١- وقال صاحب "مراقي السعود" في كتاب الاستدلال:

وَيُنْبَذُ الْإِلَهَامُ بِالْعَرَاءِ أَعْنِي بِهِ إِلَهَامُ الْأَوْلِيَاءِ

وَقَدْ رَأَاهُ بَعْضُ مَنْ تَصَوَّفَا وَعَصَمَةُ النَّبِيِّ تُوجِبُ اقْتِنَا

١٢- وقال العلامة الشنقيطي رحمته في "أضواء البيان" (٣٢٤-٣٢٦): وبالجملية، فلا يخفى

على من له إمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تُعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يُتقرب إليه به من

فعل وترك، إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل، وما

جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى،

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، ولم يقل: حتى نلقي في القلوب إلهامًا.

وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ الآية [طه: ١٣٤]، والآيات والأحاديث بمثل هذا كثيرة جداً، وقد بينا طرفاً من ذلك في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

إلى أن قال: وما يستدل به بعض الجهلة ممن يدعي التصوف على اعتبار الإلهام من ظواهر بعض النصوص كحديث: «استفت قلبك وإن أفثاك الناس وأفتوك»، لا دليل فيه البتة على اعتبار الإلهام؛ لأنه لم يقل أحد ممن يعتد به: أن المفتي الذي تُتلقى الأحكام الشرعية من قبله: القلب، بل من الحديث: التحذير من الشُّبه؛ لأن الحرام بَيِّنٌ والحلال بَيِّنٌ، وبينها أمور مشتبهة لا يعلمها كل الناس. فقد يفتيك المفتي بحليَّة شيء وأنت تعلم من طريق أخرى أنه يحتمل أن يكون حراماً، وذلك باستناد إلى الشرع؛ فإن قلب المؤمن لا يطمئن لما فيه الشبهة، والحديث كقوله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وقوله ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»، رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، وحديث وابصة بن معبد رضي الله عنه المشار إليه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «جِئْتُ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟ قلت: نعم: قال: «استفت قلبك، البر: ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب. والإثم: ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»، قال النووي في «رياض الصالحين»: حديث حسن رواه أحمد والدارمي في مسنديهما. ولا شك أن المراد بهذا الحديث ونحوه: الحث على الورع وترك الشبهات، فلو التُبست مثلاً ميتة بمذكاة، أو امرأة محرَّم بأجنبية، وأفتاك بعض المفتين بحليَّة إحداهما؛ لاحتمال أن تكون هي المذكاة في الأول، والأجنبية في الثاني. فإنك إذا استفتيت قلبك علمت أنه يحتمل أن تكون هي الميتة أو الأخت، وأن ترك الحرام والاستبراء للدين والعرض، لا يتحقق إلا بتجنب الجميع؛ لأن ما لا يتم ترك الحرام إلا بتركه فتركه واجب. فهذا يحثك في النفس ولا تشرح له؛ لاحتمال الوقوع في الحرام فيه كما ترى. وكل ذلك مستند لنصوص الشرح لا للإلهام.

ومما يدل على ما ذكرنا من كلام أهل الصوفية المشهود لهم بالخير والدين والصلاح: قول الشيخ أبي القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري رحمته: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. نقله عنه غير واحد ممن ترجمه رحمته، كابن كثير، وابن خلكان وغيرهما، ولا شك أن كلامه المذكور هو الحق، فلا أمر ولا نهي إلا على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام. اهـ.

١٣- وقال العلامة الألباني رحمته في "الضعيفة" (٢/٤٩٦): والمنامات وإن كان لا يُحتج بها، فذلك لا يمنع من الاستئناس بها فيما وافق نقد العلماء وتحقيقهم، كما لا يخفى على أهل العلم والنهي. اهـ.

١٤- وسئل العلامة العثيمين رحمته، كما في "مجموع فتاواه" (٢/٢٣٩-٢٤٠): عن رجل توفي، وبعد مدة رآه رجل في المنام وطلب منه أن يخرج من القبر، ويبني له مقامًا ففعل، فما حكم هذا العمل؟. فأجاب فضيلته بقوله: الحكم في هذا أنه فعلٌ محرم، وأن المرائي التي تُرى في المنام إذا كانت مخالفة للشرع فإنها باطلة، وهي من ضرب الأمثلة التي يضر بها الشيطان، ومن وحي الشيطان، فلا يجوز تنفيذها أبدًا؛ لأن الأحكام الشرعية لا تتغير بالمنامات، والواجب عليهم الآن أن يهدموا هذا المقام الذي بنوه له، وأن يردوه إلى مقابر المسلمين.

ونصيحتي لهؤلاء وأمثالهم: أن يعرضوا كل ما رأوه في المنام على الكتاب والسنة، فما خالف الكتاب والسنة فمطرح مردود ولا عبرة به، ولا يجوز للإنسان أن يعتمد في أمور دينه على هذه المرائي الكاذبة؛ لأن الشيطان أقسم بعزة الله ﷻ أن يغوي بني آدم إلا عباد الله المخلصين، فمن كان مخلصًا لله، ومخلصًا لله، متبعًا لدينه، مبتغيًا لدينه، فإنه يسلم من إغواء الشيطان وشره.

وأما من كان على خلاف ذلك فإن الشيطان يتلاعب به في عبادته، وفي اعتقاداته، وفي أفكاره، وفي أعماله، فليحذره، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. اهـ.

فظهر بهذه النقولات عن علماء المسلمين من جميع المذاهب: أن الكشف والإلهام ليس حجة في الشرع، أو دليلاً يُعتمد عليه، خصوصًا فيما كانت مقاصد الشرع إخفاؤه وعدم إظهاره.

١٥- وقال ابن عبيدالله السقاف في "بضائع التابوت" (١/١١٦/مخطوط): ولا يدخلنا ريب من تواتر الكشف به عمن اشتهروا بصلاية الدين، وقوة التقوى، وشدة الورع والاحتياط، فإنه وإن لم يكن الكشف حجة في الشرع إذا انضم إلى ما سبق -يعني: الاستصحاب- قد ينتهي إلى اليقين. اهـ.

قلت: والمقصود من نقل كلامه هذا قوله: (وإن لم يكن الكشف حجة في الشرع)، وأما دليل الاستصحاب فسيأتي ذكره وبيانه وتفنيده -إن شاء الله-.

أعجوبة من أعاجيب القوم في دعوى الكشف عن قبر نبي الله ﷺ:

حكى العيدروس في "بذل المجهود" (ص ١٢) عن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي أنه قال: تخلفت عن زيارة قبر هود سنة من السنين، فبينما أنا جالس في مكان متعالٍ سقفه، إذ دخل علي النبي هود عليه السلام بطأطى رأسه كيلا يصيبه السقف فقال: يا شيخ إن لم تزرنا زرنأك. اهـ.

قلت: عجباً! زار هود -حسب زعمهم- باعلوي، ولم يزر رسول الله محمدًا ﷺ، ولم ينصره، ولم يلتق به! فيا ليت شعري من أولى بالزيارة وأحق بها: باعلوي أو محمد نبي الهدى، والرسول المجتبى؟! لكن هكذا تتلاعب بهم الشياطين فيكذبون، أو تتخيل لهم فيصدقون.

أعجوبة أخرى:

قال العيدروس أيضًا (ص ١٣): إن علوي بن الفقيه المقدم قال: زرت النبي هودًا عليه السلام فلما وصلت وسوست في نفسي: هل هود في هذا المكان الذي يزوره الناس فيه أم لا؟ فغصت فيه، ثم عدت بعد ساعة، وقد وجدت النبي هودًا عليه السلام في ذلك المكان، وتحدثت معه، فشرط علي النبي هود أن أصلي على النبي ﷺ عنه معه، فقبلت الشرط. اهـ.

قلت: وأي دليل أظهر على أن الشكوك كامنة في نفوسهم، لكن لما أرادوا باب الرئاسة والصدارة، ورأوا أن لا طريق لهم إلا بهذه الزيارة، جعلوا يخلطون لها أمثال هذه الحكايات تعظيمًا لأنفسهم عند الجهال، وترسيخًا لمقامهم بين الناس في الأقوال والأفعال والأحوال.

بل ذكر ابن عبيدالله السقاف في "بضائع التابوت" (١/١١٧/مخطوط)، و"إدام القوت" (ص ١٠٢٣) تنازعهم في وقت الزيارة، وتنازعهم فيمن يتولى شرف المجلس الجامع، والدعاء،

وإمامة الناس في العشائين بتريم ليلة النصف، وقال على حد تعبيره: فتفارق الأمر، ثم أفضى إلى حرب صورية كعادة حرب آل حضرموت. اهـ المراد.

ومما يبين لك كذب قصة ابن الفقيه المقدم وسقوطها بدون أي تعليق: ما ذكره الشلي في "المشروع الروي" (٢/ ٢١١): وحكي أن الشيخ عبدالله بأعباد سأل صاحب القصة -علوي بن الفقيه المقدم- عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده؟ فقال: ظهر لي ثلاث: أحبي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون. فقال الشيخ عبد الله: نرجو فيك أكثر من هذا. اهـ.

قلت: فهذا ينبئك أن هؤلاء زنادقة، يدعون لأنفسهم ما هو من خصائص الرب ﷻ، فليسوا أهلاً للأخذ عنهم، والتلقي منهم.

دليلهم الرابع: الاستفاضة

والدليل الرابع الذي يعتمدون عليه في تحديد قبره هو: الاستفاضة.

قال الشاطري في "نيل المقصود" (ص ٨٣) فيما سماه دليلاً على تحديد قبر هود عليه السلام: أنه اشتهر، واستفاض، وتواتر تواتراً معنوياً: أن قبر هود عليه السلام في حضرموت في مكانه المعروف الآن. اهـ.

والجواب على ما سماه الشاطري دليلاً يكون من عدة أوجه:

أحدها: ما معنى الاستفاضة؟

الاستفاضة لغة من استفاض يستفيض استفاضة إذا سال الماء، وانتشر الخبر وذاع.

وقال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" (٤/ ٤٦٥): الفاء والياء والضاد أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُّ على جريان الشيء بسهولة، ثم يقاسُ عليه. اهـ.

وفي الاصطلاح له ثلاثة معان:

أولها: أنه مرادف للحديث المشهور، وهو: ما له طرق محصورة بثلاثة أو أكثر في كل طبقات السند، ما لم يبلغ حد التواتر.

ثانيها: أنه أخص من المشهور؛ لأنه يشترط فيه استوائه في ابتدائه وانتهائه، ولا يشترط ذلك في المشهور.

ثالثها: أنه أعم من المشهور، أي: عكس القول الثاني. انظر: "نزهة النظر" للحافظ ابن حجر (ص ٤٤-٤٧).

ومنهم: من جعل المستفيض قسماً من أقسام التواتر.

ومنهم: من جعله قسماً بين المتواتر والآحاد. **انظر:** "الطرق الحكمية" للعلامة ابن القيم (ص ١٧٠).

فهذا معنى الاستفاضة لغة واصطلاحاً، فتأمل ما ادعاه الشاطري في نسبة الموضع المعروف الآن لنبي الله هود عليه السلام بأنه مستفيض مشتهر، وقد علمت مما سبق عدم صحة إثباته -حديثاً، وتاريخياً، ونقلًا وانتشاراً-، بل إن أقرب الساكنين لهذا الموضع من أبعد الناس تصديقاً لهذه الخرافة، واتباعاً لمراسيمها.

وإذا عرفت أنه لا استفاضة في تعيين قبر هود عليه السلام بهذا الموضع المعروف الآن، أيقنت بطلان دعوى التواتر فيه؛ لأن التواتر أقوى من المشهور والمستفيض.

قال الحافظ ابن حجر في "نخبة الفكر" معرّفاً للحديث المتواتر: له طرق بلا عدد معين.

وقال: المتواتر: المفيد للعلم اليقيني بشروطه. **اهـ.**

وقد بينها في "النزهة" وهي:

(أ) أنه برواية عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم على الكذب.

(ب) أنهم رويوا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

(ج) أن مستند انتهائهم الحسن.

(د) أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه. **انظر:** "النخبة" مع "النزهة" (ص ٤١-٤٣).

فهذا هو حد التواتر وشرطه، ولا ينطبق البتة مع دعوى التواتر المعنوي في تعيين القبر بالمكان المعروف اليوم.

فظهر بطلان ما ادعوه من الاشتهار، والاستفاضة، والتواتر في تحديده.

أضف إلى ما تقدم: أن دعوى الاستفاضة لا تُقبل مطلقاً وإنما بقيد.

قال الإمام الطبري رحمته: إن النقل المستفيض الذي تلزم به الحجة في الدين عندنا ليس صفته ألا يكون له مخالف، ولكن صفته أن ينقله قولاً وعملاً من علماء الأمة من يتنفي عنه أسباب الكذب والخطأ. **اهـ** من "زاد المعاد" (٥/ ٤٨٧).

قلت: فأين علماء الأمة، الذين استفاض عنهم تعيين قبر نبي الله هود عليه السلام بالموضع المعروف الآن؟!.

وأين أئمة التاريخ، والاطلاع على البلدان الذين استفاض عنهم تعيين قبر هود عليه السلام؟! فظهر بما تقدم بيانه: بطلان هذه الدعاوى الزائفة، وأنها تكهنات وتخيلات زائغة، يحسبونها دلائل قاطعات، وبراهين ساطعات، وما هي إلا كما قال تعالى: ﴿كَرِهُوا قَوْلِي فَكَرِهُوا النَّاسُ بِمَا عَلَّمْتُ مَاءَ حَقِّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

دليلهم الخامس: الاستصحاب

والدليل الخامس الذي يعتمدون عليه في تحديد قبره هو: الاستصحاب.

قال ابن عبيد الله السقاف في كتابه "إدام القوت" (ص ١٠١٧-١٠١٨): وقد دَلَّلْتُ في الأصل على وجود نبي الله هود في حضرموت بالدلائل المجلوة، ومن أقواها هذه الآية المتلوة: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]، والأحقاف: هي حضرموت دون نزاع، والأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يُعلم خلافه، فينبغي أن يُعقد عليه الإجماع. اهـ.

وقال في "بضائع التابوت" (١/١١٦/مخطوط): ومتى ثبت ابتعث نبي الله هود عليه السلام بوادي حضرموت بنص الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مع ما كادت تتواتر به الآثار والأخبار في تعيين الموضع، فقد حصلت على وجوده بها الحجة الكبرى ألا وهي الاستصحاب، وهو ثبوت أمر في الزمن الثاني لثبوته في الأول؛ لفقدان ما يصلح للتغيير.

وأما ثبوته في الأول بثبوته في الثاني، فاستصحاب مقلوب وكلاهما حجة عند الشافعي...، وما أعجب غفلة المدللين على وجود قبر هود بحضرموت عن هذه الحجة مع قربها وقوتها إلى ما لا يختلجنا معه شك، ولا يدخلنا ريب من تواتر الكشف به عمن اشتهروا بصلافة الدين، وقوة التقوى، وشدة الورع والاحتياط، فإنه وإن لم يكن الكشف حجة في الشرع إذا انضم إلى ما سبق قد ينتهي إلى اليقين، وما زالت المهرة وأهل حضرموت يزورونه من قديم كما سبق ذلك عن الهمداني، وقد بقي آل حضرموت على الاعتناء بزيارته إلى اليوم في شعبان من كل سنة. اهـ.

قلت: وغاية ما يفيد هذا الكلام -إذا سلمنا به-: أن هودًا عليه السلام مات بحضرموت، وليس فيه تعيين موضع قبره المعروف الآن فتأمل.

ولا مانع من أن يكون هاجر وانتقل بالذين آمنوا معه إلى غيرها من البلاد بعد أن أهلك قومه، خصوصًا وقد تقدم أنه وردت نقول من الإسرائيليات أنه دفن بمكة، عن الحسن، وابن سابط، ومقاتل، ووهب بن منبه، بل ومن قول النبي ﷺ: «كان النبي من الأنبياء إذا هلك أمته لحق بمكة فيتعبد فيها النبي ومن معه حتى يموت فيه، فمات بها نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وقبورهم بين زمزم والحجر»، أخرجه الأزرقى في «أخبار مكة» (٦٨/١) مرسلًا بسند ضعيف.

وكل ما يستدلون به بذلك على انعدام الدليل القطعي، بل والظني على تحديد قبره، وإنما شأنهم أن تكلفوا حججًا أو هي من خيط العنكبوت، يُشغَبون بها على جهال الناس ورعاعهم، ومن لا صلة له بعلوم الشريعة، وأصوله البديعة.

فأين الدلائل القرآنية، والبراهين النبوية، والآثار السلفية، عن أئمة الدين، وعلماء المسلمين، في تحديد قبر نبي الله هود عليه السلام، فليبرزوها لو كانوا صادقين، وليتركوا الآثار الواهية، والمنامات المدعاة، والإلهام المخترع، والكشف الكاذب، وما أشبهه مما يلبسون به على المسلمين، ويخدعونهم به. وحقيقة أدلتهم التي تكلفوا جمعها: أنها ساقطة الاعتبار، مطرحة عند أولي العلم والأبصار. حجج تهافت كالزجاج تحالها حقًا، وكل كاسر مكسور.

الفصل الثالث: من أول من زار هذا الشعب، ومتى تأسست الزيارة العامة

قال سالم بن عبدالله الشاطري في كتابه «نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود» (ص ٤٨): لم يُنقل من أول من قام بها، بل المنقول في كتب التاريخ زيارة قبر النبي هود قبل الإسلام وبعده. اهـ.

قلت: من قبل الإسلام يعني: اقتداء بأهل الجاهلية كما سيأتي -إن شاء الله-، ومن بعد الإسلام كانت باتباع من استحسّن فعل أهل الجاهلية واقتدى بهم؛ لأنك قد علمت فيما سبق أنه لا دليل عليه قرآني، ولا نبوي، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم، ولا أئمة المذاهب الأربعة، ولا من قبلهم من علماء المسلمين، وفقهاء الدين.

فان قيل: متى تأسست هذه الزيارة على وضعها المعروف الآن؟.

اعلم - رعاك المولى - : **أولاً:** بأن تأسس المذهب الصوفي في حضرموت وبدء انتشاره فيها كان في أوائل القرن السابع الهجري.

قال الشلي في "المشرع الروي" (٥ / ٢): وكان أهل حضرموت مشغولين بالعلوم الفقهية، وجمع الأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف اصطلاحاتهم السنية، فأظهر الأستاذ (يعني به: الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي المتوفى سنة ٦٥٢هـ) علومها، ونشر أعلامها. اهـ.

وقال في (١٤٦ / ١) وهو يتكلم عن بعض من قُبر في مقبرة زنبيل، والفريط، وأكدر: إلا أن كثيراً منهم لا يُعرف عين قبره، بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور. اهـ.

قال ابن عبيدالله في "إدام القوت" مؤكداً: فإنه أنصع الأدلة على تمسكهم بالسنة. اهـ.

وقال صالح الحامد في "تاريخه" (٧١٥ - ٧١٦ / ٢) في ترجمة محمد بن علي باعلوي: وقد بلغ من سرعة تأثير هذا الإمام على وطنه، أنه بتصوفه صار أهل حضرموت إلى صوفية في مدة غير بعيدة، وبالرغم من أنهم كانوا لا يشتغلون إلا بالفقه والحديث، وما كانوا قبل يعرفون طرق التصوف ... ومع كون الأستاذ الفقيه المقدم هو الذي فتح لأهل حضرموت باب التصوف على مصراعيه، وأثار لهم السبيل لسلوك تلك الطريقة، فلم يكن هو أول متصوف في بني علوي، إذ كان أول متصوف منهم هو الشريف الصالح أحمد بن علوي بن محمد صاحب مرباط، وهو ابن عم الأستاذ الفقيه، وتوفي الشريف أحمد المذكور في عشر الخمسين بعد الستائة، ثم تصوف بعده الإمام الفقيه المقدم، فكان ذلك فاتحة لتصوف العلويين الحضرميين، وتبعهم في ذلك غيرهم من أهل حضرموت. اهـ.

قلت: وبهذين النقلين يظهر لكل ذي عينين أن التصوف يعتبر دخيلاً على حضرموت ليس أصيلاً، وأن أهل حضرموت كانوا على طريقة الفقهاء، ودرب الصلحاء، مترسمين مذهب أئمة الدين في منهجهم، وسيرهم، وفقههم، ورأيهم، كالإمام الشافعي رحمته، وأمثاله، بعيداً عن الابتداع، وطرق أهل الإحداث والاختراع.

ثانيًا: هذه الزيارة وتطورها من وقت إلى وقت - حتى صار يحضرها من سائر محافظات اليمن، بل وطوائف من مختلف البلدان العربية والأعجمية - كان على يد رجال اعتنقوا الفكر الصوفي، وساروا عليه، وترسموا خطاه، إليك أسماؤهم:

١- عبدالله القديم باعباد المتوفى سنة (٦٧٨هـ)، وكان تأسيسه لها في أوائل القرن السابع الهجري.

قال صالح الحامد في "تاريخه" (١/ ٦٩): قد صار منذ عهد غير قريب لزيارة قبر النبي هود عليه السلام بحضرموت موسم خاص يجتمع له الناس، ولا أظن إلا أن موسم زيارته كان في عهد الجاهلية أيضًا، فقد ذكر اليعقوبي سوق الشحر: وأنه تقوم به مهرة تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام.

وفي القرن السابع في عهد الشيخ عبد الله باعباد القديم، كان للزيارة موسم يذهبون فيه مع الشيخ عبد الله، وذلك بعد فراغ الناس من أشغال التمر وتعبئته، لا على الأشهر القمرية. اهـ.

ولما قويت أقدام آل باعلوي في تريم كانت لهم السيادة في حضرموت، لا يتقدمهم أحد، بل كل من يعمل فهو متبع لهم، ماضٍ خلفهم، تحت سيطرتهم، فانتقلت قيادة الناس إلى الزيارة تحت رايتهم بكل طوعية، بعد فراغ الناس من التمر وتعبئته، وبقي آل باعباد خُدَّامًا لهم في تمهيد الطرق إلى الزيارة، وإصلاح ما خرب من المساجد والمشاهد، والإشراف على ذلك؛ لكونهم الذين أحدثوا هذه الزيارة وأظهروها دون غيرهم.

قال عبدالقادر الصبان في كتابه "زيارات وعادات" (ص ٣٤-٣٥) تحت عنوان (بعثات العاملين قبل الزيارة): قبل الزيارة يرحل العمال المندوبون لإصلاح المنازل والحدور، ويرحل المشايخ آل باعباد قبل مسير الركب ليمهدوا الطريق، ويصلحوا ما خرب من المساجد أو المآثر حول القبر، باعتبار أن لهم اليد الطولى في هذه الزيارة، ومنذ أيام الشيخ عبد الله القديم. اهـ.

وقال كرامة بامومن في كتابه "الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٨٧): وقد ارتبطت أسرة آل باعباد بقبر النبي هود عليه السلام فهم أشبه بسدنة القبر، يقومون بخدمة مصالحه. اهـ.

٢- عبد الله بن أبي بكر العيدروس المتوفى سنة (٨٦٥هـ)، وفي زمنه تطور الاجتماع لهذه الزيارة، وتوسع الترغيب فيها، وذاع صيتها، وسيأتي شيء من شطحاته -إن شاء الله- تحت (الفصل السادس: شنائع الصوفية وطوامهم الواقعة في زيارة الشعب).

قال محمد بن أحمد الشاطري في "أدوار التاريخ الحضرمي" (١/٣٧-٣٨): ثم تأسست لهود زيارة عامة في القرن التاسع الهجري في شهر شعبان كل سنة، وأصبحت موسماً من المواسم العامة بحضرموت، وتحدد موضع القبر هناك، وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر، ولكنها لا تسكن سوى عدة أيام في السنة، وهي أيام الزيارة، أما بقية العام فتبقى بيوتها الكثيرة خاوية خالية، فهي تشبه مدينة منى بالحجاز من هذه الناحية.

وما تمتاز به هذه الزيارة: عدم الاختلاط الناشئ بين الجنسين مما يقع في كثير من الزيارات العامة بحضرموت، وغيرها من البلاد الإسلامية، بل تتألف زيارة هود من جموع الرجال الغفيرة، المعتنقة مذهب الإمام الشافعي. اهـ.

٣- أحمد بن عبد الرحمن شهاب الدين المتوفى سنة (٩٤٦هـ).

٤- أبو بكر بن سالم العلوي صاحب عينات المتوفى سنة (٩٩٢هـ)، وهو أول من رد الزيارة إلى الأشهر القمرية في شهر شعبان على ما كانت عليه من زمن الجاهلية بدل الأشهر الشمسية -في المشهور عند القوم وإلا فقد قيل: الذي ردها هو ابن شهاب الدين السابق ذكره-، بعد أن سلم له زمامها وخطامها شهاب الدين المتقدم ذكره، كما في كتاب أبي بكر العطاس بن عبدالله الحبشي المسمى "تذكير الناس من كلام أحمد بن حسن العطاس" (ص ٢٢٩)، و"تاريخ الحامد" (١/٦٩)، وكتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٢٧).

فيتلخص لنا مما مضى عنهم:

١- أن زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام كانت قبل الإسلام.

٢- أن قدوتهم في أصل الزيارة كان تأسيساً بأهل الجاهلية، ومن تبعهم من جهلة الناس.

٣- أن الفكر الصوفي دخيل على بلاد حضرموت ليس أصيلاً فيها.

٤- أن الزيارة العامة المعروفة الآن -والتي يروجون لها- تأسست في أوائل القرن السابع الهجري، ثم تطورت في القرن التاسع الهجري، فهي محدثة مخترعة بنص كلامهم، وما سطرته أناملهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وقال: «وشر الأمور محدثاتها»، وقال: «إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

٥- أنهم يُشَبِّهون المباني حول الشعب بالمباني في منى، من أنها لا تعمر إلا في الحج، وكذلك هذه لا تعمر إلا في أيام الزيارة بشعبان.

وهل الزيارة عندهم محددة بشعبان فقط؟.

الجواب: ذكر صاحب "نيل المقصود" (ص ١٤٥) أنه لم يقل أحد بأن من أراد أن يزور عليه أن يزور في شهر شعبان، ولو قيل ذلك لكان تخصيصاً، وهذا لم يقل به أحد قط، بل الزيارة مستمرة كل وقت، وأي وقت، ولكن يكثر الاجتماع والانتفاع في شهر شعبان منذ القدم.

قلت: أي أن أفضل أوقات الزيارة عندهم هي العامة التي في شعبان، لا مستند لهم في ذلك إلا اتباع الهوى، وقد أورد الشاطري قصيدة لأبيه (ص ١٩٧-١٩٩) وقع في آخر بيت منها:

والصلاة على المرسل لنا بالبشارة والنبي هودلي سنوا سلفنا مزاره

قلت: وأي دليل أظهر في كونها محدثة مخترعة من قوله: (لي سنوا سلفنا مزاره)؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار، وإلا فليكشفوا لنا من سلفهم فيها، أهو رسول الله ﷺ خير الخلق وأفضلهم وأكرمهم على الله، أم أصحابه الكرام عليهم السلام، أم أئمة الإسلام، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ثم أورد دليلاً على جواز التخصيص لو قال به أحد، وهو أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت. فانظر له كيف يستدل على جواز تخصيص زيارة القبور بوقت معين على زيارة مسجد قباء، وهذا قياس مع الفارق من أوجه:

أولاً: المساجد هي أحب البقاع إلى الله، ولا يثبت هذا في المقابر.

ثانياً: المساجد أسست للعبادة بخلاف المقابر.

ثالثاً: زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء بلا شد رحل، وهم يشدون الرحال إلى المقابر.

رابعاً: النبي ﷺ لم يحتفل بزيارة مسجد قباء، وهم يحتفلون بالقبور.

خامساً: النبي ﷺ لم يجمع الناس ويرغبهم في زيارة مسجد قباء معه، وهم يجمعون ويرغبون زيارة الشعب معهم، بل ويتحملون كثيراً من تكاليفها.

الفصل الرابع: حجج الصوفية على شرعية زيارة شعب هود عليه السلام

قد علمت مما تقدم أن تحديد قبر نبي الله هود ﷺ لا يثبت فيه شيء البتة؛ لتضارب النقل عن علي عليه السلام، واختلاف المؤرخين، ومخالفته لموقعه المزعوم اليوم، لكن على التسليم بأن قبر نبي الله هود ﷺ هو ما يقصد اليوم نورد سؤالاً، وهو:

ما حجتهم في شرعية زيارته وشد الرحل إليه، وعكوفهم عنده، في أيام معلومة أو مطلقة؟.

قالوا: عمدتنا وبراهيننا على ذلك عدة:

أولها: أن نبي الله سليمان ﷺ قصد زيارة قبره.

قال ابن هشام -المتوفى سنة ٢١٨ هـ- في "التيجان في ملوك حمير" (ص ١٧٢) نقلاً عن وهب بن منبه أنه قال: وإن سليمان أمر الرياح فسارت به إلى الأحقاف ليزور قبر هود النبي ﷺ، فسار حتى نزل في الأحقاف، ودخل إلى قبر هود ورآه، ثم انصرف ومرّ على البحر حتى بلغ عدن. **اهـ.**

وجوابنا على حجتهم هذه من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا الأثر من رواية أبي إلياس إدريس بن سنان اليهاني، عن وهب، وإدريس قال الدراقطني: متروك، كما في ترجمته من "تهذيب التهذيب".

الوجه الثاني: أن وهب بن منبه تابعي أخباري لا يعتمد عليه في مثل هذه النقول.

وإليك مثال واحد عن الحافظ ابن كثير الشافعي رحمته حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَهْدًا

إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من سورة البقرة آية (١٢٥): وعن وهب بن منبه: أن أول من

بناه شيث عليه السلام.

قال **رحمته** متعقبًا: وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يُصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجردِها، وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين. **اهـ**.

وقال الحافظ في "فتح الباري" (٤٧٢٦): ... عن وهب بن منبه وغيره ممن كان ينقل من الإسرائيليات، وقد صنف أبو جعفر بن المنادي في ذلك كتابًا، وقرر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الإسرائيليات. **اهـ**.

وفي الحديث الحسن بشواهد عن جابر **رحمته** أن عمر بن الخطاب **رحمته** أتى النبي **صلوات الله وسلامه عليه** بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي **صلوات الله وسلامه عليه**، فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يبطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا، ما وسعه إلا أن يتبعني».

والله سبحانه يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فنحن لا يجوز لنا اتباع أحد من الأنبياء فيما علمنا أنه أنزل عليه من عند الله إذا خالف شرعنا، وإننا علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا، ونتبع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به رسولنا محمدًا **صلوات الله وسلامه عليه**، كما قال تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فكيف يجوز لنا بعد هذا أن نتبع حكاية لا نُعلم صحتها، فهاتوا ما في القرآن، وما في الأحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما من دواوين السنة ما يدل على قولكم إن كنتم صادقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمته** كما في "مجموع الفتاوى" (٥٧/١٢):

وهذا ونحوه منقول عن ينقل الأحاديث الإسرائيلية ونحوها من أحاديث الأنبياء المتقدمين مثل: وهب بن منبه، وكعب الأحبار، ومالك بن دينار، ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وقد أجمع المسلمون على أن ما ينقله هؤلاء عن الأنبياء المتقدمين لا يجوز أن يُجعل عمدة في دين المسلمين، إلا إذا ثبت ذلك بنقل متواتر، أو أن يكون منقولاً عن خاتم المرسلين. **اهـ**.

الوجه الثالث: الانقطاع البين الجلي بين وهب بن منبه ونبي الله سليمان عليه السلام؛ فإن بينهما قروناً بعيدة، فهو الآن يروي شيئاً عن سليمان عليه السلام، وهذا عارٍ عن الإسناد الذي يُعرف به صحته من سقمه، وقد قال الإمام ابن المبارك رحمته كما في "مقدمة صحيح مسلم": الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. اهـ.

الوجه الرابع: أن وهباً رحمته لو روى عن النبي ﷺ شيئاً لم يقبله العلماء؛ لأنه مرسل، فما بالك بالنقل عن سليمان عليه السلام؟.

الوجه الخامس: أن هذا الأثر فيه أن سليمان عليه السلام دخل القبر، فهل يجدون - فيما يزعمون بأنه قبر نبي الله هود عليه السلام - مدخلاً فيه، وطريقاً موصلاً إليه؟.

الوجه السادس: أن وهباً يأخذ من كتب أهل الكتاب، فكيف يُصدق بما فيها وقد حُرِّفَتْ وبُدِّلَتْ؟.

الوجه السابع: أنه زُوي عن وهب بن منبه أن هوداً عليه السلام خرج ومن آمن معه من حضر موت، فقد أخرج الأزرق في "أخبار مكة" (١/ ٧٣-٧٤) بسنده عن وهب أنه قال: خطب صالحُ الذين آمنوا معه، فقال لهم: إن هذه دار قد سخط الله عليها وعلى أهلها، فاطعنوا عنها؛ فإنها ليست لكم بدار. قالوا: رأينا لرأيك تبع، فمُرْنَا نفعل. قال: تلحقون بحرم الله وأمنه، لا أرى لكم دونه. فأهلوا من ساعتهم بالحج، ثم أحرموا في العباء، وارتحلوا قُلُصاً حُمْراً مَخْطِمةً بجمال الليف، ثم انطلقوا آمين البيت الحرام حتى وردوا مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فتلك قبورهم في غربي الكعبة بين دار الندوة ودار بني هاشم. وكذلك فعل هود ومن آمن معه، وشعيب ومن آمن معه. اهـ.

قلت: فهذا وهب بن منبه الذي اعتمدتم على نقله في أن قبر هود عليه السلام في الأحقاف وأنه زاره نبي الله سليمان عليه السلام، يقول: وكذلك فعل هود ومن آمن معه، أي: هاجروا من مساكنهم بالأحقاف، وهذا يهدم ما اعتمدتم عليه، ويُهْذُ من أصله.

وهذا يؤكد ما تقدم ذكره عن أئمة الحديث والفقه في عدم الاعتماد على مثل هذه الروايات من وهب بن منبه وغيره؛ لأنها ليست قائمة على أسانيد صحيحة، ولذا فإننا لا نعتمد على هذه الرواية ولا تلك، ولهذا نقول: الله أعلم أين قبر هود عليه السلام؛ لأن الله لم يكلفنا بالتنقيب عنه، ولا ينبي عليه

حكم شرعي، ولا عمل فقهي، ولهذا لما يأت في الشرع تحديد قبور الأنبياء، ولا سأل عنها الصحابة الأصفياء، ولا التابعون النبلاء، فهل يسعكم ما وسعهم فتصيروا فضلاء.

ومثل هذا الاستدلال: ما عزوه إلى ذي القرنين أنه زار هذا القبر، كما في "نيل المقصود" (ص ٩٢)، من غير أي مستند، أو مرجع يُثبت ذلك.

فإذا تبين سقوط دليلهم هذا طالبناهم بغيره، فقالوا:

ثاني أدلتنا: ما ذكره ابن حبيب والمرزوقي من أن زيارة هذا القبر في النصف من شعبان كانت معروفة عند أهل حضر موت والمهرة، فليست هي بحادثة، فلنا فيها سلف نقتدي بهم.

(أ) قال أبو جعفر بن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥هـ في كتابه "المحبر" (ص ٢٦٦): ثم سوق الشحر شحر مهرة، فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام. ولم تكن بها عشور؛ لأنها ليست بأرض مملكة. وكانت التجار تتخفر فيها ببني محارب بن هرب، من مهرة. وكان قيامها للنصف من شعبان، وكان بيعهم بها إلقاء الحجارة ^(١). اهـ.

(ب) قال أبو علي المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١هـ في كتابه "الأزمة والأمكنة" (ص ٣٨٤): ثم يسيرون بجميع من فيها من تجار البحر والبر إلى الشحر شحر مهرة، فيقوم سوقهم تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي عليه السلام، ويبيعونهم بما ينفق بها من الأدم، والبز، وسائر المرافق، ويشترون بها الكندر، والمر، والصبر، والدخن، ولم يكن بها عشور؛ لأنها ليست بأرض مملكة، وكان جميع من يختلف إليها من العرب بتجارة يتخفر ببني يثرب وهي تقلل من مهرة، وكانت سوقهم تقوم للنصف من شعبان، وبيعهم بها بإلقاء الحجارة. اهـ.

قلنا: والجواب على دليلكم هذا من أوجه:

(١) قال ابن الأثير في "النهاية" (١/٣٩٨): هو أن يقول البائع أو المشتري: إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع. وقيل: هو أن يقول: بعتك من السلع ما تقع عليه حصاتك إذا رميت بها، أو بعتك من الأرض إلى حيث تنتهي حصاتك، والكل فاسد؛ لأنه من بيوع الجاهلية، وكلها غرر لما فيها من الجهالة.

الوجه الأول: أن هذا مجرد نقل لا إسناد له يُعتمد عليه.

الوجه الثاني: أنه على افتراض صحته فليس فيه غير الاتجار والبيع والشراء.

الوجه الثالث: أنه على افتراض صحته أيضًا يبين لنا أن هذا ليس فعل أهل العلم والفقه في الدين، وإنما هو فعل عامة الناس والرعاع من تجار وغيرهم، وليس هؤلاء محل اقتداء وتأس واتباع.

الوجه الرابع: تبأئعهم فيها بيع أهل الجاهلية مما يدل على جهلهم بدين الله، وبعدهم عنه، وأنهم ليسوا أهلاً للاقتداء بهم واتباعهم.

الوجه الخامس: أنه على افتراض صحته فإن فيه رد ما أحدثتموه لهذه الزيارة من مناسك مضاهاة لمناسك حج بيت الله الحرام كما سيأتي - إن شاء الله -، فإن هؤلاء إنما يبيعون ويشترون فقط، لا طلب شفاعة، ولا توسل، ولا طلب مدد.

الوجه السادس: أنه على افتراض صحته أيضًا يبين لنا أن فعلهم هذا متوارث عليه من زمن أهل الجاهلية، وذلك أن نبينا ﷺ قد نهى قبل موته بخمس عن متابعة أهل الكتاب في بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، ولم يرد عنه ﷺ الإشادة بالقبور، والحث على الرحلة إليها، فضلاً عن اتخاذها عيداً.

البراهين على أن هذه الزيارة قائمة على التماسي بأهل الجاهلية:

وممن يؤكد أن هذه الزيارة موروث عن أهل الجاهلية: المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في كتابه "بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت" (١/١١٦-١١٧/مخطوط)، حيث قال: وما زالت المهرة وأهل حضرموت يزورونه من قديم كما سبق ذلك عن الهمداني، وقد بقي آل حضرموت على الاعتناء بزيارته إلى اليوم في شعبان من كل سنة، إلا أن السابقين كما يُعرف من كلام سيدي أحمد ابن حسن الحداد وغيره لا يريدون كمال الزيارة إلا بالحضور ليلة النصف من شعبان هناك على نحو ما كانت العرب في الجاهلية، حسبما يأتي في أسواق حضرموت، وقد تغير ذلك فصار أهل سيون ومن كان في غريبتهم يردون في اليوم الثامن، وينفرون في العاشر، وآل تريم يردون في التاسع، وينفرون في الحادي عشر، وآل عينات يردون في العاشر. اهـ المراد.

وقال جواد علي في "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" (١/ ٣١٢): ولا يزال هذا الموضع الذي يقال له: قبر هود، يزار حتى الآن، يقصده الناس من أماكن بعيدة في اليوم الحادي عشر من شعبان للزيارة، وربما كان من الأماكن التي كان يقصدها الجاهليون. اهـ.

وقال المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري في كتابه "أدوار التاريخ الحضرمي" (١/ ٣٧-٣٨): وقد مات هود بحضرموت فيما يروي كثير من المؤرخين، وخاصة من كتّب عن حضرموت، وأصبح وجود القبر متواتراً بمحله المعروف، وكانت تقام سوق سنوية في الجاهلية في شعبان بالمنطقة التي بها قبره بشرق حضرموت، قرب بئر برهوت الشهيرة. اهـ.

وقال الحامد في "تاريخه" (١/ ٦٩): وقد صار منذ عهد غير قريب لزيارة النبي هود عليه السلام بحضرموت موسم خاص يجتمع له الناس، ولا أظن إلا أن موسم زيارته كان في عهد الجاهلية أيضاً. اهـ.

الفصل الخامس: كشف دعوى كاذبة من الصوفية

اعلم -أرشدك الله لسبيل مرضاته-: أن الصوفية يضجون في مجالسهم ومجامعهم على أهل الحق بأنهم أتوا بدين جديد، وأن هذه الزيارة قائمة من قرون قديمة، ولم ينكرها أحد حتى جاء هؤلاء بالفتن، وظهروا بين الناس بالمحنة.

فنقول لهم: إن هذه الزيارة الشركية البدعية قد هدّ أركانها، وأزال قواعدها، وأبطل شرعيّتها المزعومة: **نبي الهدى، والرسول المصطفى، وإمام التقى، وخير الورى، وسيد الناس في الأولى والأخرى، محمد بن عبد الله صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، ومن اقتفى،** كما ذكرنا طرفاً من ذلك في أول رسالتنا، وأنتم تعترفون بأن زيارتكم من عادات الجاهلية، وسننها البالية.

وقد بعث النبي ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بألا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه، كما في "صحيح مسلم" (٩٦٩).

وقال ثمامة بن شفي: كنا مع فضالة بن عبيد عليه السلام بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها، أخرجته مسلم (٩٦٨).

فأين أنتم من هذه الأحاديث الصحاح، والأدلة الصراح، وكلام العلماء النصاح؟ قد تركتموها في معزل متكرين للحق وأهله، جادين في محوه وإزالته وعزله، وأقبلتم على سنن الجاهلية متشبثين بها، عاضين عليها، قائمين بها، معادين من أجلها، متمسكين بخيالات فاسدة، ومستدلين بمكاشفات كاسدة، نسجها لكم الشيطان، وزينها في حُسنٍ ولمعان؟.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «لتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»، أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رحمته الله.

وقال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع»، قيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك»، أخرجه البخاري (٧٣١٩) من حديث أبي هريرة رحمته الله.

فظهر بهذا: أنكم أنتم الذين بدلتهم وغيرتم، وعن الحق انصرفتم، وفي حبائل الشيطان وشبابة وقعتهم، وإلا فما أنتم عليه قد أنكره رسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدون، والصحابة المكرمون رحمهم الله، والتابعون لهم بإحسان على مرّ العصور والقرون.

وقد وجد في كلام الصوفية وأشعارهم ما يبين وجود من يحذر وينهى ويثبط عن هذه الزيارة الشركية قديماً.

١- فقال عبد الرحمن بن محمد السقاف المتوفى سنة ٨١٩ هـ في قصيدة له كما في كتاب "المنهل العجيب الصافي" (ص ١٣):

ما يرغب في زيارة هود إلا ولي ولا يثبط عنها إلا شقي

٢- وقال عبدالله بن أبي بكر العيدروس المتوفى سنة ٨٦٥ كما في "بذل المجهود" (ص ٦-٨):
ومن المصيبة العظمى، والطامة الكبرى ما ينتسب به في هذه الأزمان، ويوسوس به من الهذيان: بعض من يدعي العلم بغير برهان، ويتشبه بالفقهاء ولا فقه عنده أصلاً بنص العلماء، من تحذير عوام المسلمين وتكسيلهم وتغيير قلوبهم عن زيارة قبر النبي هود - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - والحمل في إدخال الشكوك والأوهام، بالتخييل والتلبس عليهم في تحقيق ذلك الضريح

المنيف، والقبر الشريف، الذي فاضت على جهة حضرموت بركاته، وغمرتهم سوابغ نفحاته، المحقق المشهور عند جماعة من علماء أهل اليمن المحققين المتبحرين في دقائق الشريعة.

إلى أن قال: ولا التفات إلى مخالفة قدم جاحد، وصد معاند، ... فيا ليت شعري أيكذب العاقل السليم هؤلاء السادة أجمعين، ويصدق غيباً من صبيان القرن التاسع بجميع العلوم الشرعية إلا ما شاء الله. اهـ.

٣- وقال علي بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥ هـ كما في ”بذل المجهود“ (ص ٩): ولم تصدر معارضة من أحد ينسب إلى عقل، أو علم، أو صلاح، إلا شاذ نادر مبتلى بنفسه وهواه، معجب برأيه الفاسد وغواه. اهـ. وله شعراً:

جمانة هود النبي حل طاهر فأكرم بهود من نبي ومرسل
وقد جاء في نص القرآن محققاً فأياك أن تصغي إلى قول عذّل

إلى أن قال:

ولا تك كسلاناً عن الخير يا فتى ولا تحتفل من نزغ شيطان مضلل

٣- وقال ابنه عبدالرحمن المتوفى سنة ٩٢٣ هـ في قصيدة له كما في ”المنهل العجيب الصافي“ (ص ١٥٥):

مذكور قبره وشهير أشهره كم من تفسير وكم تواريخ لكثير
ظهرت بكل الأفق على هوان المنكرين الحُشود
أهل الشقا والعق وكل حاسد ما علينا يسود
قبره محقق يا صاح بالموضع المعروف في حضرموت

إلى أن قال:

هذه حقيقه فاحذر شقي منحوس أشقر مخذول محروم أنكر
وقال أيضاً كما في ”المنهل العجيب الصافي“ (ص ١٥٧):

وللتراب فقبّل ولا تطيع العواذل

قلت: فهذه النقولات عن كبار القوم، وبهذه التواريخ -القرن التاسع والعاشر- لتؤكد لكل منصف: أن دعوة التوحيد والتحذير من التعلق بالقبور كانت موجودة -على ما كان عليه السابقون كما تقدم بيانه-، ولها صولة وجولة، بدليل أنها أقلقتهم وأزعجتهم فيذكرونها -نثرًا وشعرًا-. وهي تؤكد أيضًا: أن إنكارها كان قبل وجود الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمته الله.

الفصل السادس: شنائع الصوفية وطوامهم الواقعة في زيارة الشعب

اعلم بأن غلاة الصوفية لهم شنائع عظيمة، تجانب الفطر السليمة، لا يعرفها ولا يقوم عليها شخص ذو عقل مستقيم، ومبعث سليم إلا أنكرها، وحذرنا وحذر منها، ننوه بها على وجه الاختصار؛ لتكون منها على معزل وفرار:

الشنعة الأولى: الوقوع في الشراكيات

وأعظم شنائعهم في هذه الزيارة وما يترتب لها: نَشْرُ الشرك بالله عز وجل، ومظاهر الوثنية، والدعوة إليها، وتزيينها في صورة محبة الأنبياء والصالحين، فهذه أعظم شنائع القوم وأقبحها. اعلم -رعاك الله-: أن بلاد حضرموت كانت بلادًا سنية، معتنية بطرق العلماء الفقهية، فلما دخل التصوف وانتشر، تُرك منهج الفقهاء وبُتر، إلا ما رحم ربك.

قال الشلي في "المشرع الروي" (٥/٢): وكان أهل حضرموت مشغولين بالعلوم الفقهية، وجمع الأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف اصطلاحاتهم السنيّة، فأظهر الأستاذ (يعني: الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي المتوفى سنة ٦٥٢هـ) علومها، ونشر أعلامها. اهـ.

وقال الصبان في كتابه "زيارات وعادات" (ص ٢٥-٢٦): كانت السنة النبوية قد أوضحت كيفية زيارة القبور، وأنها للسلام والترحم على الميت، ومن هذا المنطلق كانت زيارة السابقين.

ثم قال: ويقول الأستاذ عبداللاه^(١) بن حسن بلفقيه: كانت الزيارة عندهم وهي من عصر الفقيه وما قبله عبارة عن التسليم على الميت، والدعاء له، والترحم عليه، والاتعاظ بذكر الموت، وهي على مذهب الفقهاء... والذي كان يخلو من التوسل والتبرك.

ثم قال الصبان تحت عنوان (كيفية الزيارة الحالية من القرن التاسع الهجري): في عهد الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس انتقلت كيفية الزيارة من الكيفية الفقهية إلى الطريقة الصوفية، والتي لا تقتصر على السلام والترحم، بل تتناول التوسل، والاستمداد، والتبرك بالمزار له. اهـ.

قلت: وهذا اعتراف منهم بتحول منهجهم، وتغير طريقتهم، من المنهج الفقهي إلى الفكر الصوفي، وأن زيارتهم مجانية للأحاديث النبوية، والأحكام الشرعية، والآثار السلفية، وأنهم هم الذين غيروا الدين، وتركوا هدي سيد المرسلين، وأتوا بمنهج جديد، وفكر التنديد.

والعجيب: أن العيدروس المذكور -حسب زعمهم- بقي ١٣ سنة ينتظر الإذن الرباني في تغيير الزيارة من الطريقة الفقهية إلى الطريقة الصوفية، كما في كتاب الصبان (ص ٢٦) نقلاً عن عبداللاه بلفقيه من كتابه "الفرائد في قيد الأوابد".

وقال الصبان أيضاً (ص ٢٩): وبعد أن تحولت زيارة نبي الله هود من الزيارة الشرعية -والتي هي على طريقة الفقهاء- إلى الطريقة الصوفية، -طريقة المدد، والتبرك بالمزار-، أصبح لهذه الزيارة عوائد وطقوس، ومنذ القرن التاسع الهجري. اهـ.

قلت: هذه الطقوس البدعية سيأتي بيان كثير منها -بإذن المولى- تحت هذا الفصل الذي يتضمن شنائع القوم في هذه الزيارة.

واليك نص صريح في الغرض من هذه الزيارة يكشف لك حقيقة مقاصدهم:

١- قال عبدالرحمن بن محمد العيدروس في كتابه "بذل المجهود" (ص ٢٠): فإن المقصود من الزيارة

الاستمداد من أرواح الأنبياء والأئمة، والعبارة عن هذا الإمداد: الشفاعة، وهذا يحصل من وجهين:

(١) هكذا يكتبونه عندنا إذا كان الدال مخفوضاً أبداً، وبه يفرقون بينه وبين (عبد الله) كون الحركات تظهر فيه.

الاستمداد من هذا الجانب، والإمداد من الجانب الآخر، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين. أما الاستمداد: فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر، حتى تصير كلفة همته مستغرقة في ذلك، وتقبل كلفته على ذكره، وحضوره ببالة.

وهذه الحالة: سبب منبهة لروح ذلك الشفيع والمزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها. اهـ.

قلت: فبالله عليكم أبهذا وجه نبي الهدى أصحابه وأمه؟! أو قاله الأنبياء والرسل لأقوامهم؟!

أقال أحد منهم: اقبلوا على قبور الأنبياء والصالحين بكليتكم حتى تنهوههم؟!

عجباً والله! يأتون مُفرغين قلوبهم متذللين لمن غفل عنهم، وليس بيده حل عُقدتهم، ولا كشف كُرْبهم، ولا قضاء حوائجهم، ولا تستحضر قلوبهم الأحاد الصمد، ولا يتوجهون إلى الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وهو الحي القيوم، العليم الخبير، السميع البصير، الرؤوف الرحيم، الغفور الحليم!! أي جهل أعظم من هذا الجهل، وأي سفه أكبر من هذا السفه؟!

ألم يقرؤوا قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ سَجِيئُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا لِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

صدق الله إذ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

٢- وقال العيدروس أيضاً (ص ٢٧): والغرض من الزيارة: هو الاستمداد من أرواح الأنبياء والأولياء، والمراد بذلك: طلب الشفاعة منهم. اهـ.

وقال الصبان في كتابه "زيارات وعادات" (ص ٢٩): فمن الزوار: من يرحل للبيع والشراء، ويدفعه السوق التجاري إلى ذلك. ومنهم: من يرحل للنزهة، ويرى فيها متنفساً من متاعب العام.

ومنهم: من يرحل للتبرك وطلب المدد من المزار له، ولكل امرئ ما نوى. اهـ.

قلت: وما قرروه من أن الغرض من الزيارة طلب الشفاعة والمدد من المزار هو عين شرك المشركين الأوائل - وإياك أن تستعجل في رد الحكم بعاطفة أو حماس، أو غضب، حتى تسمع

البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة من الكتاب والسنة، لا من الإسرائيليات، ولا المكاشفات، ولا المنامات، ولا مخترع الحكايات-، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

ينكر تعالى في هذه الآية على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، القائلين: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظانين أن تلك الآلهة تضرهم إن عصوها، أو تنفعهم شفاعتها عند الله إذا عبدوها، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبداً؛ ولهذا قال عقبها: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ صحته أن له شريكاً ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم، فقال: ﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فسمى طلبهم الشفاعة من آلهتهم عبادة وشركاً فافقه! وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢-٣].

فإن الله **جَلَّ جَلَالُهُ** بيده الشفاعة وهو يملكها ليست لغيره أبداً كما قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٤٤].

وقال جل شأنه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥-٤٦]، فهذا نوح **عليه السلام** أحد ينكر عظيم جاهه وشرفه عند الله؟ شفع -وهو حي- في ابنه فلم يقبل الله شفاعته، بل وأنكر عليه طلبها.

ومثله إبراهيم الخليل **عليه السلام**، شفع في قوم لوط **عليه السلام** كما قال تعالى عنه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ فلم يقبل الله شفاعته وهو

خليل الله وكان حياً، وقال له: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٤-٧٦].

وهكذا لما استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه بعد وعده: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المتحنة: ٤]، فلم يقبل الله استغفاره لأبيه.

وهكذا نبينا ﷺ لما قال في عمه أبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» أنزل الله: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].

وهكذا لما استأذن ربه أن يستغفر لأمه نهاه عن ذلك.

وهكذا لما استغفر للمنافقين، وصلى على عبدالله بن أبي بن سلول، أنزل الله نهيته عن ذلك ولم يقبل شفاعته نبيه ﷺ ولا استغفاره لهم، فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠]، ثم قال: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يخبر أمته بأنه لا يملك لهم من الله شيئاً، فقال له: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، وقال له: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال له: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

وفي البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﻋَﻠَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: «يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»، والأدلة في هذا المقام كثيرة جداً. وانظر: «مجموع الفتاوى» (٣٨٦/١٤-٣٨٧).

فتأمل كيف رد الله شفاعة بعض أنبيائه الذين لا يُنكر جاههم عند الله، وعظيم منزلتهم، هذا وهم أحياء، فكيف بمن يطلبها من الأموات، ويُشغل فكره بهم، ولا يذكر إلا إياهم؛ لتنبه أرواحهم له، واستمداداً منهم، وطلباً لشفاعتهم، وهم عنه غافلون؟! قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

ومن أمثلة أقوالهم الشركية بمناسبة الزيارة والحث عليها، والترغيب فيها:

قال عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السقاف كما في «المنهل العجيب الصافي» (ص ١٥٣):

هوود النبي المرسل بوادي الأحقاف قبره صحيح
سرُّ زُرِّه واحذر تكسُّل واطلب مرادك منه حول الضريح
تُعْطَى وتحظَى فاسأَل بقلب منكسر فقير طريح

وقال أيضاً كما في «المنهل العجيب الصافي» (ص ١٥٧):

كن طريح جفئك قريح حول الضريح

قلت: هكذا يأمرهم بأن تُظهر الدُّل حول هذا القبر المزعوم لنبي الله هود، وهو من مظاهر الوثنية، وسيأتي من شعرهم التصريح بنداء نبي الله هود عليه السلام من دون الله: (يا هود ...، يا هود).

وهكذا نداء مشايخ الصوفية وكبارهم: (يا شيخنا يا سقاف) (يا شيخنا يا محضار).

انظر: «زيارات وعادات» (ص ٣٠ و ٣٢)، و«الفكر والمجتمع في حضرموت» (ص ٢٩٤).

وقال الصبان في "زيارات وعادات" (ص ٤٠): ثم يحدو الحداة بالمأخذ، وهي عبارة عن توسلات، وطلبات من النبي هود لزواره. اهـ.

ولهم في غير هذه المناسبة شركيات وكفريات - نثرًا وشعرًا - يجب أن يتوبوا منها توبة صادقة.

شهادة بعض المؤرخين والباحثين بمظاهر الوثنية وتجسدها في هذه الزيارة:

١- قال صلاح البكري في كتابه "تاريخ حضرموت السياسي" (١/ ٥٣): وقد بُلغ في تقديس هذا الضريح، فتراهم يشدون الرحال لزيارته، وعندهم شيء من بقايا الشعور الوثني الذي كان يشعر به العرب للآلات والعزى، يستعينون به، ويتجهون إليه، ويولون وجوههم شطره؛ لقضاء الحاجات، واستئزال البركات، ودفع الكربات. اهـ.

٢- وقال محمد بن عبد القادر بامطرف في "ملاحظاته على الهمداني" (ص ٦٦): ويحتمل أن يكون هذا المكان سوقًا من الأسواق اليمنية الموسمية القديمة، وقد أقيم فيها هذا القبر ليعطيه طابعًا وثنيًا جذبًا. اهـ.

٣- وقال كرامة بامومن في كتابه "الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٨٧): فالموقع من الناحية الطبيعية يشبه إلى حد ما ذلك الموقع المقدس لدى الهندوس، حيث يجري نهر الكنج المقدس،^(١) والذي يحج إليه الهندوس للعبادة والغسل والتطهير. اهـ.

وقال (ص ٢٩٤-٢٩٥): وتخفي هذه العادة المستحكمة اعتقادًا بقدرسية هذه الشقوق التي أحدثها انفلاق الحجر، لولوج النبي هود واختفائه داخلها (زعموا)، إن هذه العادة تجسد الوثنية بعينها... ولماذا لا يحذر الوعاظ والمرشدون من مغبة هذا السلوك الوثني. اهـ.

٤- وقال المستشرقان -دانيال فان در ميولين، وفون فيسان- في كتابهما "حضرموت - إزاحة النقاب عن بعض غموضها" (ص ١٨٤): وفهمنا الآن من البدوي الذي يسمي نفسه مسلمًا، ولكنه ما زال وثنيًا، حيث يقترب من هذه البقعة برهبة مقدسة. اهـ.

(١) فكيف إذا عرفت أن باني قبة القبر المزعوم هود: رجل من الهند، انظر: "أدوار التاريخ الحضرمي" (٢/ ٢٧١).

الشُّنعةُ الثانيةُ: إطلاق عبارات مكذوبة ينسبونها لرسول الله

ومن شنائعهم: وضع الأحاديث في الترغيب في هذه الزيارة، والكذب على النبي ﷺ من غير مبالاة، أو إيهام السامعين أنه من قوله ﷺ، وتكتب على جدرانها - كما في "تاريخ البكري" (١/٥٢-٥٣) -، وقد قال ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، فهم يفعلون هذا كله من أجل التلبس والتدليس والدجل على الناس؛ لتكون لهم السيادة، ومنتهى الشرف والقيادة. ومن تلك الأحاديث المصنوعة التي كان يروجونها بين العامة، ثم لما فضحت أكاذيبهم، وانكشفت أباطيلهم، بحثوا لها عن مخارج وتأويلات؛ ليكتموا بها الأفواه:

١- (أن الماء الموجود نهر من الجنة)، وصرح الشاطري في "نيل المقصود" (ص ١١٩-١٢٠) أنه ليس بحديث، وإنما هو هاتف من السماء سمعه محمد بن علي مولى الدويلة. قلت: فانظر - رعاك الله - منهج القوم في إثبات هذه الأمور الغيبية التي لا يُجزم بها إلا بدليل قرآني، أو حديث نبوي، لا بالمهاتفات التي قد تكون من هاتف الشيطان. وأيضاً: من ادعى شيئاً طُوب بالبيئة وإلا رُدَّت دعواه، فما أكثر الكذابين، وما أكثر العباد المغفلين، الذين لا يميزون ما يسمعون، ولا يعقلون. فنحن ولو قلنا بصدق مدعي المهاتفة، إلا أنها قد تكون في الظاهر حقيقة، وإنما هي من تزيين الشيطان وإغوائه.

ألم يقل الشيطان: ﴿فِيمَا أَعْوَيْنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]. وقال: ﴿رَبِّمَا أَعْوَيْنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

وقال تعالى له: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أُسْطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝ إِنَّ عِبَادِي لَكَلَّ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ۖ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٤-٦٥].

فالشیطان له مكائد بالعباد والزهاد؛ لصرفهم إلى طريقه في الإفساد، وفي القصة المشهورة عن العابد الصالح عبدالقادر الجیلانی وأبي میسرة المالکی ما یوضح ذلك.

قال الشاطبي في "الموافقات" (٢/ ٤٧٥-٤٧٦): والثالث: أن مخالفة الخوارق للشریعة دلیل على بطلانها في نفسها، وذلك أنها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك، بل أعمالاً من أعمال الشیطان، كما حكى عیاض، عن الفقيه أبي میسرة المالکی، أنه كان ليلة بمحراه یصلي ویدعو ویتضرع، وقد وجد رقة، فإذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظیم، ثم بدا له وجه كالقمر، وقال له: تملأ من وجهي يا أبا میسرة، فأنا ربك الأعلى، فبصق فيه وقال له: اذهب يا لعین عليك لعنة الله. وكما یحكي عن عبد القادر الکیلانی (أي: الجیلانی) أنه عطش عطشاً شديداً، فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب، ثم نودي من السحابة: يا فلان! أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات. فقال له: اذهب يا لعین. فاضمحل السحابة. وقيل له: بَمَ عرفت أنه إبليس؟ قال: بقوله: قد أحللت لك المحرمات. اهـ.

وانظر: "مجموع الفتاوى" (١/ ١٧٢)، و"شذرات الذهب" لابن العماد (٤/ ٢٠٠).

وقال الشاطبي أيضاً في "الاعتصام" (١/ ٣٥٩-٣٦١): ومما يتعلق به بعض المتكلفين: أن الصوفية هم المشهورون باتباع السنة، المقتدون بأفعال السلف الصالح، المثابرون في أقوالهم وأفعالهم على الاقتداء التام، والفرار عما يخالف ذلك، ولذلك جعلوا طريقتهم مبنية على أكل الحلال، واتباع السنة، والإخلاص، وهذا هو الحق، ولكنهم في كثير من الأمور يستحسنون أشياء لم تأت في كتاب ولا سنة، ولا عمل بأمثالها السلف الصالح، فيعملون بمقتضاها، ويثابرون عليها، ويحكمونها طريقاً لهم مهيجاً، وسنة لا تخالف، بل ربما أوجبوها في بعض الأحوال، فلولاً أن في ذلك رخصة لم یصح لهم ما بنوا عليه. فمن ذلك: أنهم یعتمدون في كثير من الأحكام على الكشف والمعاينة، وخرق العادة، فيحكمون بالحل والحرمة، ویننون على ذلك الإقدام والإحجام، كما یُحكى عن المحاسبي أنه كان إذا تناول طعاماً فيه شبهة ینبض له عرق في إصبعة فيمتنع منه.

وقال الشبلي: اعتقدت وقتاً أن لا أكل إلا من حلال، فكنت أدور في البراري، فرأيت شجرة تين، فمددت يدي إليها لأكل، فنادتني الشجرة: احفظ عليك عهدك، لا تأكل مني فأني ليهودي.

وقال إبراهيم الخواص رحمته: دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة بالليل، فإذا فيها سبع عظيم، فخفت، فهتف بي هاتف: اثبت؛ فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك.

فمثل هذه الأشياء إذا عُرِضت على قواعد الشريعة ظهر عدم البناء عليها، إذ المكاشفة، أو الهاتف المجهول، أو تحرك بعض العروق لا يدل على التحليل ولا التحريم؛ لإمكانه في نفسه، وإلا لو حضر ذلك الطعام حاكم أو غيره أكان يجب عليه أو يندب إلى البحث عنه حتى يُستخرج من يده واضعُه بين أيديهم إلى مستحقه؟.

ولو هتف هاتف: بأن فلاناً قتل المقتول الفلاني، أو أخذ مال فلان، أو زنى، أو سرق، أكان يجب عليه العمل بقوله؟ أو يكون شاهداً في بعض تلك الأحكام؟ بل لو تكلمت شجرة أو حجر بذلك، أكان يحكم الحاكم به؟ أو يُبنى عليه حكم شرعي؟ هذا مما لا يعهد في الشرع مثله. اهـ.

ثم أورد الشاطري: أثر وهب بن منبه، عن ابن عباس رحمتهما: أن هوداً النبي عليه السلام رأى عاداً الآيتين: الجنة، فأما النار فأروها في وادي برهوت، [قال وهب]: وأراهم الجنة بنهر الحفيف.

قلت: أورده ابن هشام في "التيجان في ملوك حمير" (ص ٥٤) وهو من طريق أبي إلياس إدريس ابن سنان، قال الدارقطني فيه: متروك، كما في ترجمته من "تهذيب التهذيب".

وأسقط الشاطري أو سقط عليه ما بين المعقوفتين حتى صار بقية الكلام كأنه عن ابن عباس رحمتهما، وليس كذلك، فتنبه.

وابن عباس رحمتهما كان يتلقى بعض الأشياء من الإسرائيليات.

قال ابن كثير في "تفسيره" لآية ١٨٩-١٩٠ من سورة الأعراف: وقد تلقى هذا الأثر^(١) عن ابن عباس: جماعة من أصحابه، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة. ومن الطبقة الثانية: قتادة، والسدي، وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وكأنه -والله أعلم- أصله مأخوذ من أهل الكتاب. اهـ.

وقال أيضًا في "تفسيره" لآية ٣٤ من سورة ص: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس -إن صح عنه- من أهل الكتاب. اهـ.

وقال أيضًا في "تفسيره" لآية ٣٧ من سورة النبأ: وهذا حديث غريب جدًا، وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفًا على ابن عباس، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم. اهـ.

قلت: فهذه النقول عن هذا الإمام من أئمة الشافعية تؤكد أن ابن عباس رحمته الله كان يأخذ من الإسرائيليات، فلا يقبل مثل نقله هذا لو صح الإسناد إليه، فكيف وهو منقطع الأوصال؟!.

٢- (الضحكة في هود كتسبيحة في غيرها)، هذا يقوله المناصب لا العوام، وإنما كبار الصوفية من العلويين، كما في كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٣٦)، وقد أبان الشاطري في "نيل المقصود" (ص ١١٢) حقيقة هذه المقالة بقوله: ليس بحديث، وإنما هو قول يُنسب إلى بعض العلماء والصالحين، ومعناه: الكلمة الطيبة، والابتسامة، والضحكة عند لقاء الإخوان في الزيارة أثناء السفر لها من المعروف والصدقة التي يثاب عليها فاعلها، ويتأكد ذلك في السفر ونحوه، ترويجًا للإخوان، وإذهابًا لعناء السفر عنهم، كما هو الحال في الزيارة.

ثم ذكر الأدلة العامة في الترغيب بلقاء الأخ لأخيه بوجه طلق، وقال: ووجه الشبه بين التبسم والتسبيحة هو: أن كلاً منهما صدقة، كما هو منطوق قوله رحمته الله: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»،

(١) يعني: أثر تسمية آدم وحواء لابنتها بعبد الحارث إصغاء لإبليس، ولأخينا الفاضل أبي موسى عبدالله حليل رسالة بعنوان "قرة العين في تبرئة الأبوين"، أبان فيها براءة آدم وحواء عليهما السلام من ذلك، وهو قول المحققين من أهل العلم.

وقوله عليه السلام: «إن كل تسبيحة صدقة»، فينتج معنا: أن تبسمك في وجه أخيك يعدل ثوابه ثواب التسبيحة. اهـ.

قلت: ولعمر بن حفيظ نحوه كما في «الدر المنضود» (ص ٦٠) ولنا على هذا الكلام عدة مآخذ: أحدها: أنه من لَيَّ نصوص السنة المتضمن للتقول على رسول الله ﷺ ما لم يقله. ثانيها: التسبيح شيء، والابتسامة شيء آخر، فالأصل في التسبيح أنه عبادة من حيث هو بخلاف التبسم. يوضحه: هل يشرع التبسم في الصلاة كما يشرع التسبيح؟ فظهر بهذا الفرق بينهما. ثالثها: تقييد ذلك بالزيارة، والأدلة مطلقة، وهذا من التضييل على عامة الناس، وفتح باب الكذب على رسول الله ﷺ.

رابعها: من الذي كلفكم لعناء هذه الزيارة حتى تحترعوا لها مثل هذه المقولات؛ لتروحوها على أنفسكم؟! هلا بقيتم في مساجدكم تعبدون الله لتسلموا من هذا العناء. خامسًا: الذهاب إلى هذه الزيارة والتبسم فيها ليس مما يرضي الله، بل هو من أسباب سخط الله وغضبه؛ لتضمنها المخالفة الظاهرة لما حذر الله منه، ونهانا عنه، ومقته، وكذا رسوله ﷺ.

الشُّنعة الثالثة: المجازفة بإطلاق عبارات ترويجية للزيارة

ومن شنائعهم: أن لهم أقوالاً منكراً، وادعاءاتٍ مفتراة، لا دليل عليها ولا مستند لها، إلا الكذب والدجل، ترويجاً للزيارة، وتحفيزاً لها، من ذلك:

- ١- (أن الأدلة متكاثرة على استحباب زيارة هذا القبر)، وهذا مبثوث في غير ما كتاب لهم.
- ٢- (أنها من أجل الطاعات، وأجزل القربات)، قاله علي بن أبي بكر السكران كما في «بذل المجهود» (ص ٨)، و«الدر المنضود» (ص ٤٦).
- ٣- (اكتساب رضوان الله، وهو أعلى من نعيم الجنان) قاله عمر بن حفيظ كما في «الدر المنضود» (ص ٥٦).

٤- (الدعاء يُجاب، والغمى تنجاب) قاله ابن عبيدالله في «إدام القوت» (ص ١٠٢٨). وهذا وما تقدم قبله هو من التخرص في دين الله، والخوض بغير علم، والمجازفة بلا برهان.

وابحث أيها القارئ عن هذه الأشياء -التي يوردونها في كتبهم بلا خطام ولا زمام- في دواوين الإسلام، وكتب أئمة الدين الأعلام، وانظر هل ستجد لها أثرًا، أو ترى عنها خبرًا؛ لتتقن أنها محدثات في الدين، وجرة على رب العالمين، بلا خوف ولا حياء.

٥- (أن بئرا يسمونها بئر التسلمو يجتمع إليها أرواح الأنبياء والأولياء) ودعواهم باجتماع أرواح الأنبياء في هذه البئر كلام باطل لا أثارة له من علم، ومردود مخالف للأدلة الشرعية، وأقوال العلماء الزكية، كما أوضحناه في "الدرر النجدية على الأسئلة الحضرية" (ص ٣٦-٣٩).

وانظر: كتاب "دعوة الخلف إلى طريقة السلف" للشيخ محمد بافضل رحمته (ص ٣٢١).

ولا يباشر مراسيم الزيارة والسلام على الأنبياء والصالحين إلا آل باعلوي غالبًا على حسب طبقاتهم، كما في كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٣٨ و ٤٢).

ويستدلون على بدعة التسليم بعمومات لا تنزل على هذا المقام، وهذا مطرد عندهم في سائر هذه العبارات المختلفة، والجميل المبتدعة.

٦- (غبار الطريق إلى هذا القبر كغبار الجهاد في سبيل الله) ويستندون لعموم قوله ﷺ: «ما اغبرت قَدَمًا عبدًا في سبيل الله فتمسه النار»، وهذا غلو ظاهر، وقول على الله بغير علم، وقياس فاسد، وفهم كاسد، كيف يُنزلون هذا الحديث على زيارة شركية، بدعية، لا تخلو من معاصٍ وآثام، ويزعمون أنه سَيَّر في سبيل الله؟.

٧- (هود يتحمل ذنوب زواره حتى يرفعها الله تعالى)، قاله عبدالرحمن السقاف كما في "بذل المجهود" (ص ١١ و ١٣)، **وانظر:** "تذكير الناس" (ص ٢٣٠).

وهذا كلام عارٍ عن الدليل، وليس فيه إلا الدجل والتضليل.

٨- (النائم في الزيارة كالقائم، والمفطر كالصائم)، عجبًا والله! زيارة مبتدعة على سنن الجاهلية يختلقون لها فضائل، ويتبعون وساوس الشيطان فيما يلقيه في قلوبهم لها من منازل.

٩- (من زار هود ولو للفضول غفرت ذنوبه)، زعم الشاطري في "نيل المقصود" (ص ١٣٣) أنه مأخوذ من حديث حضور حلق الذكر، وهذا منهج القوم في الاستدلال، بتقييد ما أطلقه الشرع، وتخصيص ما عممه؛ ترويجاً لبدعهم، وترغيباً فيها، وهذا طريق ضلالٍ وعمىٍ وتحريفٍ.

أيّ ذنوب تُغفر مع مقارفة أعظم الذنوب، على أنه أجل برٍّ مطلوب؟! نعوذ بالله من انتكاسة الفطر. إن حضور مثل هذه الحلق - على هذا الوصف الذي بيناه وأوردوه في كتبهم - إنما هو من الإعانة على الزور، وبث الشرور، وتكثير الأوزار، ونشر الأضرار، والله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا بِنَعْيِ الْجَنَّةِ﴾ [الفصل: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

وقال في صفة عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

١٠- (أنها سبب لكشف الكربات، ورفع النكبات)، وهذا يقررونه خصوصاً في المجالس الرجبية تضليلاً على الناس وتلييساً، فإن كشف الكربات، ورفع النكبات لا يكون إلا بطاعة الله ورسوله ﷺ، والتمسك بالكتاب والسنة، ومجانبة المعاصي والذنوب، وعلى وجه الخصوص: هذه الزيارة ونظائرها التي تخالف تعاليم الإسلام، وهدي خير الأنام - عليه أفضل الصلاة والسلام -، وأتباعه من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأعلام.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال جلّ شأنه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال عز من قائل: ﴿فِظْلِهِ مَنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [١٦٠] وأخذهم الربواً وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل [النساء: ١٦٠-١٦١].

وطريق إزالة الكرب والمصائب بالتوبة إلى الله واستغفاره من الشرك كله، ألم تسمع دعوة نبي الله نوح عليه السلام قومه إلى إخلاص الدين لله وترك عبادة غير الله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ [نوح: ١٠٤]

[٣]، فلما رأى إصرارهم على كفرهم، وإعراضهم عن الحق الذي أوضحه، مع بذله الوسائل الشرعية، والأساليب المرضية، قال لهم: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٠-١٤]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ٣].

فأَيُّ عمل يدعون أنه صالح، ولا يعرفه رسول الله ﷺ، ولم يدل أمته إليه؟! وأيُّ عمل صالح وحملته الدين، وأوعية العلم من الصحابة وأتباعهم لا يعرفونه؟! هذا والله كافٍ في بطلان الزيارة من أصلها، فكيف إذا انضاف إليها ما قد علمته من موبقات، ومنكرات؟ فإنه يتأكد نبذها، والتحذير منها، والتنفير عنها.

١١- (من بشرنا بسلامة الزوار ضمنت له على الله بالجنة)، قاله أحمد بن عبدالرحمن شهاب الدين كما في "تذكير الناس" (ص ٢٢٩)، ويؤولونها بمعنى الدعاء كما في "نيل المقصود" (ص ١٤٨-١٤٩)، وهذا من مفضوح التكلف، وظاهر التعسف، إذ كيف يقول: (ضمنت له) ثم يؤول بمعنى الدعاء؟!.

١٢- (حضور الملائكة والصالحين)، قاله أبو بكر بن عبدالرحمن السقاف، كما في "بذل المجهود" (ص ١٥).

١٣- تسمية شهر شعبان بـ: (شهر هود)، قال عبدالله الشاطري كما في "نيل المقصود" (ص ١٩١):

ذا شهر شعبان شهره هل شهر السعد ذا شهر شعبان فيه الخير مزنه يجود
يا فرحة القلب لي قالوا: دخل شهر هود شذود يا أهل المطايا للزياره شذود

١٤- (أن هودًا عليه السلام يحيز الزائرین بالهدايا والعطايا)، كما في "تذكير الناس" (ص ٢٢٩).

١٥- (الخلوة عند قبر هود ربحها مضاعف، وفتحها جزيل)، قاله عبدالله بن أبي بكر العيدروس كما في "بذل المجهود" (ص ٨).

١٦- (أن ما بين الصخرة والقبر الشريف روضة من رياض الجنة) قاله حسين الغريب كما في "بذل المجهود" (ص ١٥).

١٧- (صفاء القلوب وقبول توبة أهل الذنوب) بمعناه قاله علي بن أبي بكر في قصيدة له كما في "بذل المجهود" (ص ٩)، و"الدر المنضود" (ص ٤٤).

١٨- (أن ناقة هود تمخضت ثم صارت حجرًا) وقد بنوا عليها قبة، وأصلحوا ما حولها حتى يجلس الناس ويسع الجموع، كما في "تاريخ الحامد" (١/ ٦٩)، و"زيارات وعادات" (ص ٣٩)، و"تاريخ البكري" (١/ ٥٣).

١٩ و ٢٠- (أنه مَحَجُّ الأخدار)، (من زار ذا الخدر نجا من النار) قال سعيد بن عمر بلحاف في قصيدة له كما في "المنهل العجيب الصافي" (ص ٥٩):

يا الله على وادي مَحَجِّ الأخدار ساروا إليه العاشقين زوار
مكتوب في أبوابه وفيه الأسطار آثارنا يا أهل المحبه آثار
بين الخدور خدر يلوح نوره مكتوب في أبوابه وسطوره
يا أهل الهوى طوبى لمن يزوره من زار ذا الخدر نجا من النار

قلت: ويعني بالأخدار المأوى الذي يقيم فيه كبار الصوفية العلويين أيام الزيارة، ويقصد هنا: خدر الفقيه المقدم، وهذا غلو شنيع، وتجاوز فظيع، إذ يجعل: زيارة الخدور حجًا، وأنه من أسباب النجاة من النار، ما أعظم جرمهم، وأكبر ذنبهم، ألم يقرؤوا قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله في المجرمين ساكني النار: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاطِنِينَ﴾ [المدثر: ٤٥].

٢١- (المعيشة هناك والصمت، والتسبيح أفضل من غيره)، قال علي بن أبي بكر في قصيدته كما في "بذل المجهود" (ص ٩):

وكم قيل عيش المرء فيه رياضة كذا الصمت والتسبيح من قول أفضل
٢٢- (الإنكار على من يقول: سأنحدر، أو سأزور القبر، وإنما يقول: أزور هود)، قاله عمر
 المحضار بن عبدالرحمن السقاف كما في "بذل المجهود" (ص ٩).

٢٣- (المقصر في زيارة هذا القبر خايب ومحروم)، قاله شيخ بن عبدالله العيدروس كما في "بذل
 المجهود" (ص ٢٣)، وما يدري المسكين أن سهمه الخائبة المحرومة أول من ترمي: الصحابة
 والتابعين الذين نزلوا حضرموت أيام حروب الردة، وكذا يرميها -جهلاً وتعصباً- لكل عالم وفقهه،
 بل الخايب المحروم -حقاً- من عمل بعمل أهل الجاهلية وترسم خطاهم أمثالكم لو كنتم تعقلون.

الشُّنعة الرابعة: تقديس البقاع في الشعب

ومن شنائعهم: اعتقاد أن محل الناقة وأمام الضريح من البقاع المقدسة، التي تطلب فيها قضاء
 الحاجات، واستئزال البركات، ودفع الكربات، كما في "زيارات وعادات" (ص ٤٠)، و"تاريخ
 البكري" (١/ ٥٣).

ومن تقديسهم للمكان: الإنكار على من يطلع بدابته إلى ما بين الصخرة والقبر، قاله حسين
 الغريب كما في "بذل المجهود" (ص ١٥).

الشُّنعة الخامسة: مناسك الزيارة مضاهاة للحج

ومن شنائعهم: مضاهاتهم بمناسك الحج لبيت الله الحرام، فإن الحج لغة: كثرة القصد إلى معظم.
 وهم يعظمون هذا الشعب ويبالغون في تعظيمه، ويجعلون له مراسيم ومناسك مدونة في كتبهم
 يصرحون فيها بمضاهاة الحج، كما في "زيارات وعادات" (ص ٢٨-٢٩)، وأما في "الفكر والمجتمع
 في حضرموت" (ص ٢٩٣) فجعل لها عنواناً: (الحج الأصغر)، وقال تحته: وقيل: إن زيارة هود تقوم
 مقام الحج لمن لا يستطيع الحج من أهل حضرموت، وأطلق على زيارة هود الحج الأصغر. اهـ.

قلت: وهو أمر معلوم عند عامة الناس، وإليك مناسكهم مضاهاة لحج بيت الله الحرام:

١- أن ما يُعمل في الزيارة من المناسك يكون مرتباً بلا تقديم شيء على آخر، ينصون على ذلك،
 ويؤكدون عدم مخالفته حتى تكون الزيارة صحيحة، كما في "زيارات وعادات" (ص ٣٤ و ٤١).

وتأمل كتاب "الدليل القويم" (ص ٣٩-٥٥) وهو يذكر مراسيم زيارة كل طائفة، تراها متفقة.

٢- أن طقوس هذه الزيارة تبدأ من الثامن من شعبان وتنتهي بالثالث عشر، مثل حج بيت الله

الحرام يبدأ بالثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية، إلى يوم الثالث عشر.

٣- لهم ميقات يبدءون فيه التهاويد - وهو قولهم: (يا هود يا نبي الله... يا مولى النهر-)، مضاهاة

لمواقيت الحج والتلبية، يبدأ أولاً كل أهل بلد بزيارة أضرحة الأولياء في بلده، ثم على جميع من يمر

بعينات زيارة قبر أبي بكر بن سالم وأبنائه في عينات، كما في "الدر المنصود" (ص ٦٦)، ويقولون في

أهازيج مع تحريك الأرجل والأبدان وتكرار:

يا نبي الله جِئْنَا إِلَيْكَ والمنشر علينا والمرجع عليك

أي: الذهاب علينا، والعودة عليك، وهذا توكل على الأموات، ورد الأمر إليهم، وهو شرك بالله

العظيم، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

٤- رمي ما يسمى عندهم بالمحذفة، وهكذا رمي قبر الكافرة أو الكافر، مضاهاة لرمي جمره

العقبة وبقية الجمرات.

أما رمي المحذفة: فمبناه عند القوم على قصة منسوبة لعمر المحضار في تعرض الشيطان له.

انظر: "إدام القوت" (ص ٧٩٩-٨٠٠)، و"نيل المقصود" (ص ١٥١).

ويستدلون على مشروعية رجم ما يسمى بالكافرة أو الكافر بحديث رجم أبي رغال^(١).

(١) أبو رغال رجل من قوم نبي الله صالح عليه السلام، لما لحقت قومه النقمة كان في حرم الله، فلما خرج أصابته، كما عند أبي داود

(٣٠٨٨) من حديث عبدالله بن عمرو رحمته الله بسند ضعيف فيه: بجير بن أبي بجير مجهول.

وأخرجه أحمد (٢٩٦/٣) من حديث جابر رحمته الله وفيه: عننة أبي الزبير.

وأخرجه أحمد (١٤/٢) من حديث عبدالله بن عمرو رحمته الله بسند صحيح عن عمر رحمته الله في قصة أنه قال لرجل: ولأمرن

بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال.

٥- الاغتسال للزيارة من النهر الذي يزعمون أنه من أنهار الجنة، وأنه اغتسال للتوبة، وهذا مضاهاة للاغتسال للإحرام، وأنه يرمز إلى تطهيرهم من الخطايا والذنس.

انظر: "كتاب الصبان" (ص ٣٨)، و"الدر المنضود" (ص ٥٩).

وتولد من ذلك بين العامة: (من اغتسل في هذا النهر خرجت منه خطاياها).

ومن المضحكات: أن ماء النهر إذا قلَّ قرب الزيارة ولم يصل إلى الأماكن المقدسة عندهم، شقوا له بالشيولات والآلات الحديثة حتى ينحدر منه شيء إلى ذلك الموضع حتى تتم الزيارة.

٦- صلاة ركعتي الوضوء بعد الاغتسال خلف حصاة عمر المحضار، مضاهاة للصلاة خلف

مقام إبراهيم عليه السلام. **انظر:** "كتاب الصبان" (ص ٣٨).

٧- ثم يتوجهون إلى (بئر التسلوم) حيث تبدأ مراسيم الزيارة عندها.

وصيغة التسليم عندهم: يتدئ بالسلام على هود ثلاثاً، ثم يقول: السلام عليك وعلى محمد، السلام عليك وعلى أحمد، ثم على الأنبياء والملائكة والصالحين واحداً واحداً، يقول: السلام عليك وعلى آدم، السلام عليك وعلى حواء، وهلم جرا، ثم يدعو، ثم يتوجهون رافعي أصواتهم بالدعاء إلى القبر ويعيدون ذلك التسلوم، ويقرءون سورة هود، ويستحبون أن يكون النظر حين السلام إلى أسفل ما يستقبله إظهاراً للاحترام، **انظر:** "بذل المجهود" (ص ٢٤-٢٦)، و"زيارات وعادات" (ص ٣٩).

والعجيب: أنهم يقدمون هوداً في السلام على نبينا محمد وعلى سائر الأنبياء، مع أنهم يزعمون اجتماع أرواح الأنبياء والصالحين في هذه البئر، فما وجه هذا التقديم؟ هكذا البدع والأهواء.

فإن قيل: لماذا هذا التسلوم على أرواح الأنبياء؟

قال العطاس كما في "تذكير الناس" (ص ٢٣٠-٢٣١): وكان الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر إذا أراد زيارة أحد من الأولياء خط دائرة في الأرض، واستدعى أرواح من شاء منهم؛ لأن الأرواح منتشرة في الآفاق، مثل الهواء ما يخلو منه الفضاء، وإذا أردت أن تمسك شيئاً منه لا يمتسك، وهكذا كان السلف في تسليمهم على الأنبياء في شعب نبي الله هود حول البئر المعطلة يستدعون أرواح الأنبياء فتحضر. **اهـ.**

٨- التمسح والتقبيل للصخرة التي وسط القبة، مضاهاة باستلام الحجر الأسود وتقبيله.

انظر: "تاريخ حضرموت السياسي" للبكري (١/ ٥١-٥٢).

والعجب: أنهم ينصون في بعض الكتيبات إنكار ذلك، ولا ترى منهم إنكاراً علناً في مجالسهم قبل الذهاب، ووقت الزيارة، مما يشير إلى الرضا بذلك.

وهذا يذكرني بما قال لي والدي رحمه الله: رأيت بعض الجهلة بـ (الغرفة) يأكلون تراب الموتى تبركاً، ويضعونه على رؤوسهم، فسمعت بعض الصوفية يقول حين رأيهم: خلهم يستاهلون. اهـ.

قلت: ومما يبين رضاهم على ذلك أيضاً: ما أورده العيدروس شعراً في "بذل المجهود" (ص ١٠) عن علي بن أبي بكر فيما سماه بآداب الزيارة:

وَأَلْتَمَّ ثَرَى تِلْكَ الْبَقَاعِ مَرْعَاً بِخَدِيكِ تَعْظِيماً وَلِلثُّرْبِ قَبْلِ
وَلَا تَسْمَعِ الْوَاشِي، إِذَا مَا نَهَاكَ قُلْ خَلَعْتَ عِذَارِي فِي هَوَاهِمِ وَحَوْلِ

وقال ابنه عبدالرحمن كما في "المنهل العجيب الصافي" (ص ١٥٧):

وَلِلتُّرَابِ فَقَبُّوا وَلَا تَطِيعِ الْعَوَاذِلِ

ومما يتمسحون به: حفرة صغيرة قريبة من القبر يزعمون أنها أثر نبي الله هود عليه السلام، مضاهاة لمقام إبراهيم عليه السلام، مع أنك إذا تأملتتها وقارنتها بما يزعمون أنه قبر هود لا ترى تناسباً إطلاقاً.

وفي "المجموع شرح المذهب" للعلامة النووي رحمه الله (٣١١/٥): قال الإمام أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني - وكان من الفقهاء المحققين - في كتابه في الجنائز: ولا يستلم القبر بيده، ولا يقبله، وعلى هذا مضت السنة، ... واستلام القبور، وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعاً، ينبغي تجنب فعله، وينهى فاعله.

إلى أن قال: قال أبو موسى: وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون: المستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميت، يُسلم، ولا يمسه القبر، ولا يقبله، ولا يمسه؛ فإن ذلك عادة النصارى. قال: وما ذكروه صحيح؛ لأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور، ولأنه إذا لم يُستحب

استلام الركنين الشاميين من أركان الكعبة لكونه لم يسن مع استحباب استلام الركنين الآخرين، فلأن لا يستحب مس القبور أولى، والله أعلم. اهـ.

وقال أيضًا (٢٧٥ / ٨): قالوا: ويكره مسحه (أي: قبر النبي ﷺ) باليد، وتقيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته ﷺ، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، ولا يغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك؛ فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة، وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم.

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه عملنا فهو رد»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم»، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وقال الفضل بن عياض رحمته الله - ما معناه -: اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.

وَمَنْ خَطَرَ بِيَالِه: أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع، وكيف يبغي الفضل في مخالفة الصواب. اهـ.

وقال البجيرمي في «تحفة الحبيب على شرح الخطيب» (٥٧٣ / ٢): فزوروها بشرط أن لا يقترن بذلك تمسيح بقبر، أو تقيله، أو سجود عليه، أو نحو ذلك؛ فإنه دأب النصارى، قاله الغزالي. قال السبكي: فعل ذلك بدعة منكرة، إنما يفعلها الجهال. اهـ.

وانظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤ / ٤٩١)، و«فتاوى السبكي» (١ / ٢٨٩).

وقال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٤ / ٥٢١): اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام، ولا التقبيل، إلا للركنين اليمانيين؛ فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم. وقد قيل: إنه يقبل، وهو ضعيف. وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه، ولا تقيله؛ كجوانب البيت، والركنين الشاميين، ومقام إبراهيم، والصخرة، والحجرة النبوية، وسائر قبور الأنبياء والصالحين. اهـ.

وعَدَّ استلام القبور من الكبائر: ابن حجر الهيتمي الشافعي في كتابه "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (٢/ ٢٤٤).

٩- اتخاذ يوم العاشر من شعبان يوم عيد بالشعب، مضاهاة لعيد الأضحى.

بل يعتبرونه خير عيد، قال عبد الله بن علوي الحداد في ديوانه "الدر المنظوم" (ص ١٩٥):

ذكراني ليال قد خلت حول هود شعب قبر النبي المرسل وفيّ العهد
إلى أن قال:

حيّ عيداً بها فاق كل عيد مع رجال الوفا من منسين الحدود

١٠- الذبح في يوم العاشر، مضاهاة لذبح الذبائح، ونحر النحائر يوم العاشر، ويتفنون في إعداد الطعام، وأخذ المأكولات. **انظر:** كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٤٣).

١١- الشرب تبرّكاً من نهر يسمى بنهر هود، والأخذ منه للأهل هدية، مضاهاة لفعل الحجاج والمعتمرين بماء زمزم. **انظر:** "عادات بادت" (ص ٧٨) لابن شهاب، و"الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٩٠).
قال الحامد في "تاريخه" (١/ ٦٧) مشككاً في هذا النهر الموجود الآن: وهذا النهر غير موجود اليوم، ولا يجوز أن يكون هو الماء غريبه في المسيل العميق الذي خدته السيول، فهذا إنما هو من آثار حفر السيول، وهو ناشئ بعد خراب سد حضرموت. **اهـ.**

١٢- الوقفة وتكون في اليوم الحادي عشر، وهي عندهم ركن في الزيارة من فاتته فاته فضل الزيارة، مضاهاة للوقوف بعرفة، حتى قال أحمد بن محمد المحضار واصفاً لها في قصيدة له مشهورة:

وَقَفَّةٌ تُشَبَّهُ بِالْحَجِّ يدعون في ذلك الفج الأرض منها ترج

بصوت واحد يا هود

وانظر: كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٤١).

قلت: فانظر إلى هذا الغلو، ودعائهم غير الله بكل صراحة.

١٣- الحلق أو التقصير في اليوم الثالث عشر كلُّ أمام مدينته أو قريته، ويعتبرونه يوم التطيب.

انظر: كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٤٣).

١٤- لهم نفرتان، الأولى لمن كان بعيداً عصر الحادي عشر، والثانية بعده لمن كان قريباً، مضاهاة للنفر في أيام التشريق. **انظر:** كتاب الصبان "زيارات وعادات" (ص ٤٣).

١٥- اعتبار هذه الأيام أيام عيد يتبادلون فيها عبارات التهاني، كما في "الدليل القويم" (ص ٤٦).

١٦- إقامة الخطب ومجالس التذكير: بشرف الزيارة وما كان عليه سلفهم، وبالموت ومحبة أهل البيت والفضل بعد الانتهاء من مراسيم الزيارة عند الصخرة، مضاهاة بخطبة عرفة والنحر. **انظر:** "زيارات وعادات" (ص ٤٠)، و"الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٩١).

١٧- الطواف حول مقبرة تريم القديمة - زنبل والفريط وأكدر - يوم الرابع عشر سبع مرات عند العودة، مضاهاة بطواف البيت، ومن أقوالهم في أصوات مرتفعة: (زرنا وقد رجعنا عسى القبول معنا)، كما في كتاب "الفكر والمجتمع في حضرموت" لكرامة بامومن (ص ٢٩٢).

وهذا ذنب جسيم، وإثم عظيم، لا يجوز السكوت عنه، ولا الرضا به، بل يجب إنكاره، وإشهاره، حتى يحذر المسلم؛ فإن الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام يقول: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

قال العلامة النووي في "المجموع" (٨ / ٢٧٥): لا يجوز أن يطاف بقبره ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام. اهـ.

فهذا قبر رسول الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام وهو أشرف قبر، هل كان الصحابة الكرام الذين فدوه بأنفسهم، وأعراضهم وأموالهم يطوفون بقبره، فما بال هؤلاء الصوفية لا يكادون يفقهون حديثاً؟!

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٤ / ٥٢١): وقد اتفق المسلمون على أنه لا يُشرع الطواف إلا بالبيت المعمور، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس، ولا بحجرة النبي ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام، ولا بالقبة التي في جبل عرفات، ولا غير ذلك. اهـ.

وقال في (٢٦ / ٢٥٠): فإن الطواف لا يشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق المسلمين. ولهذا اتفقوا على تضليل من يطوف بغير ذلك مثل: من يطوف بالصخرة، أو بحجرة النبي ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام، أو بالمساجد المبنية بعرفة، أو منى، أو غير ذلك، أو بقبر بعض المشايخ، أو بعض أهل البيت كما يفعله كثير من جهال المسلمين؛ فإن الطواف بغير البيت العتيق لا يجوز باتفاق المسلمين، بل من اعتقد ذلك ديناً وقربة

عُرِفَ أن ذلك ليس بدين باتفاق المسلمين، وأن ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام، فإن أصر على اتخاذه ديناً قُتِلَ. اهـ.

وعَدَّ الطواف بالقبور من الكبائر: ابن حجر الهيتمي الشافعي في كتابه "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (٢/ ٢٤٤)، وانظر: "فتاوى السبكي" (١/ ٢٨٩) فإنه نهى عن الطواف بقبره ﷺ.

١٨- اتخاذ أيامها أيام عطلة عن الوظائف، والفلاحة، والعمل، حتى قال قائلهم:

ثمانية أيام باتسلى صباح المقود ثمانية أيام في راحه ونحن قعود

انظر: "عادات وزيارات" (ص ٣٥).

١٩- تنتهي الزيارة بالشعبانية عصر يوم الرابع عشر ليلة الخامس عشر، يُقرأ دعاء شعبان المشهور عندهم، وتزار المشاهد والأضرحة، ثم تقام الألعاب الشعبية، كما في "عادات وزيارات" (ص ٤٥).

٢٠- تصنيف رسائل صغيرة تشتمل على آداب مناسك الزيارة، وما يستحب عندهم فعله وقوله، من أعمال، وأوراد، مضاهاة لتلك الكتب المصنفة في مناسك الحج والعمرة.

الشُّنعة السادسة: الغناء والرقص

ومن شنائعهم: إقامة حفلات الإنشاد، والرقص المشين، وضرب الطبول، والرزيح، والتمايل طرباً في ليالي زيارتهم؛ ترغيباً فيها، وجذباً لهم بإقرار كبارهم، وحضور ساداتهم من غير نكير ظاهر، بل يضحكون معهم ويسمرون، كما أخبرني بذلك بعض من حضرها، وكما سيأتي عن ابن عبيدالله السقاف نفسه في الفقرة الآتية، وهم بهذا يجذبون العامة بهذا اللهو حتى تكون عنده قابلية لمراسيم الزيارة، كما في "زيارات وعادات" للصبان (ص ٢٨)، و"الفكر والمجتمع في حضرموت" لكرامة بامومن (ص ٢٨٩).

وقال الصبان في كتابه "زيارات وعادات" (ص ٤١): تقام في ليالي الزيارة ألعاب شعبية، ورقصات الشبواني والخابة، فكل بلد تقوم بألعابها، وأمام بيت منصبها وحتى الليل. اهـ.

بل إن القوم في لعب وهو ورقص من وقت خروجهم من بلدانهم، وفي مسيرهم إلى الشعب، وهم في الشعب، وحتى عودتهم إلى بيوتهم، فأَيُّ عبادة هذه وقربة يرجون قبولها، ونفعها، وهي

مبدوءة باللهو، ومختمة باللهو، فيها التشبه بعبادة الكفار عند الكعبة، نعوذ بالله من الخذلان، ومن سبيل أهل العصيان، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] أي: تصفيرًا وتصفيقًا.

والعجيب: أنهم يلقنونهم أن ينووا بهذا اللهو المشاركة في عبادة الله، قاله عمر بن حفيظ. **انظر:** "زيارات وعادات" (ص ٣٣-٣٤) و(ص ٣٦-٣٧)، و(ص ٤١)، و(ص ٤٤)، وكتاب "الدليل القويم" (ص ٣٩-٥٥)، وكتاب "الدر المنضود" (ص ٥٨).

الشُّنْعةُ السابعة: إظهار الأعلام والرايات

ومن شنائعهم: رفع الأعلام الغريبة الأشكال، والعجبية الألوان في الزيارة تعبدًا وتقربًا، وهو من التشبه بالروافض في طقوسهم، وزياراتهم، ويسوغون ذلك بأنه كرفع الرايات، وعقد الأولوية في الجهاد والغزوات، وهذا من تجلدهم في التلبس، والتماس أي شيء ليسوغوا به باطلهم. قال ابن عبيدالله السقاف في "بضائع التابوت" (١/ ١١٧/ مخطوط): وما رأيت أقفً للشعور، ولا أهرز للنفوس، ولا ألد للأرواح من يوم ورودهم في موكبهم الضخم، بين خفق الأعلام، ودوي البنادق، وجرس الطبول. **اهـ وانظر:** "نيل المقصود" (ص ١٣٥).

الشُّنْعةُ الثامنة: لو كان تعظيمهم لهذا القبر مشروعاً لكان هضماً لحق النبي صلى الله عليه وسلم

إن مما انعقد عليه إجماع المسلمين: أن قبر نبينا محمد ﷺ هو أثبت قبر وأيقنه، وأن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء والمرسلين، فما بال الصوفية وغيرهم يتركون الاحتفال به، ويجعلون لهذا القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام ما يجعلون من احتفال وإطراء وغلو؟. أهو أفضل عندهم من نبينا محمد ﷺ؟ أم ماذا؟.

أتدري لماذا؟ إنها استجابة ربنا لدعاء نبينا ﷺ بالألا يجعل قبره وثناً يُعبد.

وهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ، وعلماء التابعين، ومن بعدهم من أئمة الدين، لم يكن أحد منهم يقصد قبر رسول الله ﷺ للاحتفال به في يوم محدد مشهور معلوم؛ لتعرف بهذا قبح فعلة الصوفية،

وَشُنْعُهُ مَا هُمْ عَلَيْهِ، مِنْ مَجَانِبَةِ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ عليه السلام، وَخَالَفَةِ سَبِيلِ الصَّحَابَةِ الْأَوْلِيَاءِ عليهم السلام، وَمُبَايَعَةِ نَهْجِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، وَاتِّبَاعِهِمْ لِسُنَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْأَدْعِيَاءِ، وَطَرِيقَةِ الْمَجَانِينِ لِلْإِسْلَامِ الْأَلْدَاءِ.

الشُّنْعَةُ التَّاسِعَةُ: قَصْدُ الشَّعْبِ لِلْعِبَادَةِ وَالْبَرَكَةِ

وَمِنْ شُنَائِعِهِمْ: اتِّخَاذُ هَذَا الشَّعْبِ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ وَالْقُرْبَةِ بِلاَ دَلِيلٍ وَلَا بَرَهَانٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ: «أَلَا وَإِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنَهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٥٣٢) مِنْ حَدِيثِ جَنْدَبٍ رضي الله عنه.

وَمَا عَلَّمَ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عليهم السلام، وَلَا مِنْ تَابِعِيهِمْ، وَلَا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ أُمَّةٍ الدِّينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْصِدُونَ الْعِبَادَةَ عِنْدَ قَبْرِ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله وسلم، وَلَا عِنْدَ قَبْرِ غَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، بَلْ كَانُوا يَقْصِدُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَعْمُرُونَهَا بِالصَّلَاةِ، وَالذِّكْرِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبِ، عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ﴾ (٣٦) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۚ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿النور: ٣٦-٣٨﴾.

وَعَمَلًا بِقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلًا كَلِمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦٢) وَمُسْلِمٌ (٦٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَبِقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل خَيْرَ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثَ خَيْرَ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعُ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ، وَمَنْ أَعْدَدَهُنَّ مِنَ الْإِبِلِ»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨٠٣) عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه.

وَبِقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٦٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. وَالْأَدْلَةُ فِي هَذَا الْبَابِ مُتَكَاثِرَةٌ، مَعْلُومَةٌ مُتَوَافِرَةٌ.

فالعجب: ممن يتجشم الصعاب، ويُتعب الرقاب، ويرحل قاصدًا مسجدًا ذلك الشعب للتفرغ للعبادة - زعم -، ويترك مساجد بلده بلا عناية وعمارة.

فبأي دليل تُفَضَّلُ هذا المكان على غيره؟ ومن أين لك أن له منزلة فوق ما سواه؟ ومن أنبأك بعلو بقعته على سائر البقاع؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته كما في "مجموع الفتاوى" (٢٧/٤٤٤-٤٤٥): وأما قبور الأنبياء: فالذي اتفق عليه العلماء هو: قبر النبي ﷺ؛ فإن قبره منقول بالتواتر وكذلك في صاحبيه. وأما قبر الخليل فأكثر الناس على أن هذا المكان المعروف هو قبره، وأنكر ذلك طائفة، وحكي الإنكار عن مالك، وأنه قال: ليس في الدنيا قبر نبي يعرف إلا قبر نبينا ﷺ. لكن جمهور الناس على أن هذا قبره، ودلائل ذلك كثيرة، وكذلك هو عند أهل الكتاب.

ولكن ليس في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها فائدة شرعية، وليس حفظ ذلك من الدين، ولو كان من الدين لحفظه الله كما حفظ سائر الدين، وذلك: أن عامة من يسأل عن ذلك إنما قصده الصلاة عندها، والدعاء بها، ونحو ذلك من البدع المنهي عنها.

ومن كان مقصوده الصلاة والسلام على الأنبياء، والإيمان بهم، وإحياء ذكرهم، فذاك ممكن له وإن لم يعرف قبورهم. اهـ.

ومن الأشياء التي تُقصد في ذلك المكان أو يؤتى بها للبركة:

١- التبرك بـ (القُبْع)، وهو عبارة عن مجموعة ألبسة لكبار القوم يتبركون بها في مراسيم الزيارة، كما في "الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم" (ص ٤٤ و ٤٨ و ٤٩ و ٤٧).

٢- التبرك بالصلاة في بعض المواطن التي كان يصلي فيها كبار القوم.

٣- التبرك أيضًا بشق عميق بين حجرين يزعمون أن هودًا عليه السلام لما هرب من الكفار دخل منه فانشق، والناس يخصون هذا الشق بالتعظيم، كما في "بذل المجهود" (ص ١٣)، و"الفكر والمجتمع في حضرموت" (ص ٢٩٥).

أخرج ابن أبي شيبة (٣٧٦/٢) بسند صحيح، عن المعرور بن سويد قال: خرجنا مع عمر رضي الله عنه في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، و﴿لَا يَلْفُ فَرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، فلما قضى حجه ورجع والناس يتندرون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: هكذا هلك أهل الكتاب اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل.

الشُّنعة العاشرة: كبار الصوفية يسقون الناس من النهر بأيديهم

ومن شنائعهم: الشرب من النهر لا يتم إلا تبعاً لقادات الوفود وساداتهم، ولا يكون الشرب إلا بأيديهم.

قال الصبان في كتابه "زيارات وعادات" (ص ٣٨-٣٩): تتوافد كل مجموعة زوار من بلد إلى النهر، وإلى الناحية التي يقف فيها الحبيب المنصب، وكل بلد يتقدم زوارها منصب أو حبيب أو شيخ، ... يتزاحم الزوار على المنصب أو الحبيب أو الشيخ، وهو يسقيهم بيده من النهر تبركاً به، وهو يرمز إلى الشرب من الكوثر يوم القيامة. اهـ.

قلت: وتولد منه عند العامة: (من شرب من هذا النهر شرب من حوض النبي ﷺ يوم القيامة).

الشُّنعة الحادية عشر: ادعاء المنامات المرغبة فيها

ومن شنائعهم: الترويج للزيارة بالرؤى المنامية التي تحدث على الزيارة، وترغب فيها، ومن ذلك: ما قاله الحبشي في "تذكير الناس" (ص ٢٣١) عن العطاس: ولما رجع سيدي رضي الله عنه من زيارة نبي الله هود عليه السلام في شعبان سنة ١٣٢٥ قال وهو بتريم: رأيت البارحة كأني في حضرة سيدنا الفقيه المقدم، وكأن رسولاً جاء إليّ بأبيات لأحد من السلف فيها بشارات لي، وإشارات إلى قبول الزيارة، واستجابة الدعوات.

فقال سيدي الحبيب شيخ بن عيدروس العيدروسي: رأيت بالأمس مع الظهر كأن شيئاً نزل من السماء إلى الأرض كهيئة العروس المزفوفة، وعليها من اللباس الفاخر، والحلي الملون ما لا أقدر أن

أصفه، ونزل مع ذلك شيء آخر كالذهب وكالفضة، وشيء لا يُكَيَّف، ونادى منادٍ من السماء: هذا هدية من الحق ﷻ وتعالى لأحمد بن حسن العطاس خاصة، وللناس عامة.

فقال سيدي أحمد: وأنا رأيت ما رآه الحبيب شيخ، وظهر لي شيء منه، ولكن مرآته هو صافية جم.

الشُّنعةُ الثانية عشر: تصنيف الكتب في الحث عليها، وتزيينها، والتهوين من مخالفتها

ومن شنائعهم: الدعوة للزيارة ببث المنشورات، ونشر التأليفات، وزرع الشبهات، وتزيين الشريكات، في صورة أجزل القربات، وأعظم الطاعات، وهي متفاوتة الزلات، ومن تلك الكتب:

- ١- "بذل المجهود في خدمة ضريح سيدنا نبي الله هود"، لعبدالرحمن بن محمد العيدروس.
- ٢- "الفوائد في قيد الأوابد" حول المزارات والزيارات، لعبدالله بن حسن بلفقيه، مخطوط بمكتبة الأحقاف ذكره الصبان في كتابه: "زيارات وعادات" (ص ٢٦).
- ٣- "فتح الودود في تحقيق قبر نبي الله هود"، لعبد الله بن محمد بن عقيل مطهر.
- ٤- "وسيلة الصب الودود إلى الإله المعبود بسر زيارة نبي الله هود"، وهو كتاب أدعية وتوسلات.

- ٥- "زيارات وعادات، زيارة نبي الله هود"، لعبد القادر محمد الصبان.
- ٦- "نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود"، لسالم الشاطري.
- ٧- "زيارة نبي الله هود ﷺ في ميزان الشرع"، لسالم الشاطري.
- ٨- "الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود"، لفهمي بن علي بن عبيدون.

الشُّنعةُ الثالثة عشر: الرحلة للشعب من مختلف البلدان

ومن شنائعهم: الارتحال لهذا الشعب من جميع أنحاء اليمن، بل ومن دول الخليج، بل ومن غيرها من الدول العربية، والإسلامية، ومن إفريقيا وشرق آسيا، بل ومن مكة والمدينة!! ويردد بعضهم:

من زار النبي، فايده ما هي خساره سفيه العقل من يبطل في الزيارة

وهذا كله يبين لك مدى خطورة هذه الزيارة، والتعظيم الساري في قلوب الصوفية لها، إلى درجة ترك أعمالهم، ووظائفهم، وتجاراتهم من أجلها، والسفر لها، والدعوة المتكررة إليها، وبذل الأموال

لها، وتيسير السبل في حضورها، وكفالة من يحضرها والنفقة على أهله وولده، كما في "بذل المجهود" (ص ١١)، وتعبيد الطرق، وإنارة الشعب إنارة كاملة.

فأين هذه الزيارة المذكورة في القرآن والسنة؟!.

وأين زيارات الصحابة، والتابعين، وأئمة الدين؟!.

وأين هي في كتب الفقهاء؟!.

هل ترى لها ذكراً في موطأ مالك، أو مسند الشافعي، أو مسند أحمد، أو صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسائر كتب السنن، والمصنفات؟!.

هل لها وجود في أمهات الحديث، ودواوين الإسلام، وصحاح الأئمة، ومعاجم العلماء، ومسانيد الفقهاء؟!.

فلا ذكر لها أبداً في الكتب المعتمدة عند أهل الإسلام، وأئمة الأنام، وإنما في سنة الجاهلية التي ورثوها عنهم، فكيف بشد الرحل إليها من مختلف الأمصار، مع تباعد الأقطار، والتحريض على ذلك بالسر والجهار، من غير تحذير ولا إنكار؟! متشبهين بخطط أهل الكتاب، والمندسين في صفوف المسلمين من الروافض وأهل الارتياب، نعوذ بالله من الخذلان، وطريق أهل الحرمان.

الشُّنعة الرابعة عشر: تشبيه المكان بمنى

ومن شنائعهم: المفاخرة بأن المنازل التي أقاموها بأموال باهظة تكون طوال السنة خالية إلا في أيام الزيارة، مثل المنازل المبنية بمنى، كما في "أدوار التاريخ الحضرمي" للشاطري (١/٣٧-٣٨)، و"إدام القوت" (ص ١٠١٧-١٠١٨).

الشُّنعة الخامسة عشر: التنايز بالألقاب

ومن الأخلاق السيئة المنتشرة بين أهل الزيارة: التنايز بالألقاب، واستخدام أساليب منكرة مستقبحة -قولاً وفعلاً-، فيدور مجموعة منهم حول الذي يأتي أول مرة للزيارة ويتبعونه ويحدثون صوتاً كهدير الجمل على الناقة!!، ويَكْمُنُ العجب أن هذا يقع بمرأى ومسمع من المناصب لذلك ويقولون لهم: الضحكة في هود بتسييحة، **انظر:** "زيارات وعادات" (ص ٣٦-٣٧).

الشُّنَّةُ السادسة عشر: قولهم في هود: يا سيد الرسل

ومن الغلو الذي يقعون فيه، ويطربون به، وينشدونه ويرددونه حين توجههم إلى الصخرة:

إن قيل: زرتم بما رجعتُم؟ يا سيد الرسل ما نقول؟

قولوا: رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول

ألم يسمعوا قول النبي ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة»؟ أم طاشت أفهامهم، وذهبت عقولهم، وحصل عندها سُكْرُ الفناء، وتخدير العقول، يغفلون في جهة ويتقصصون رسول الله من جهة أخرى.

انظر: «زيارات وعادات» (ص ٣٩)، و«الدليل القويم» لحامد بن شهاب الدين (ص ٤٦) وقد قرظه سالم الشاطري، وعمر بن حفيظ، وأبو بكر العدني، وغيرهم من كبار القوم ولم ينكروه، نعوذ بالله من عمى البصر والبصيرة.

الفصل السابع: ما موقف كبار الصوفية من هذه الشنائع؟

وبعد ما تبين لك من شنائع منكرة، وقبائح مُشَهِّرة، في هذه الزيارة: اقرأ وتأمل من غير تعليق ما قاله الشاطري في «نيل المقصود» (ص ٢٠٠-٢٠١) مادحاً لها، مظهرًا فضلها، متحدثًا عن ميزتها، مزكياً لها - وهو مثال فقط-: وليس فيها ما يخالف الشرع الحنيف، وأدب الإسلام، والحمد لله تعالى لا يوجد فيها شيء من البدع والمنكرات، أو المخالفات فيما نعلم، ويحضرها العلماء والصلحاء والدعاة إلى الله تعالى، ولو وجدوا شيئاً مخالفاً للشرع فلن يسكتوا وسينبهون الزائرین لسلوك آداب الإسلام في الزيارة، وترك المخالفات.

وينبغي على الزائر: ملازمة تقوى الله ﷻ في حله وترحاله، وأن يلتزم بالآداب الشرعية، والأخلاق الإسلامية، وأن يجتنب ما يشين الأخلاق، وأن يعمر أوقاته بالطاعات.

إلى أن قال: وأن يقرأ خلال الأيام التي يقضيها في الشعب ختمة على الأقل يهديها لنبى الله هود

عليه السلام، ويكثر من ذكر الله تعالى، والاستغفار، والصلاة على النبي محمد ﷺ، وعلى نبي الله هود

عليه السلام، ويُستحسن أن تكون بالصيغة المنسوبة للإمام علوي بن الفقيه المقدم وهي: «اللهم صل على

سيدنا محمد خير مولود، وعلى نبيك سيدنا هود، وعلى آلها، وصحبها، بعدد ذرات الوجود».

إلى أن قال: كما أنه ينبغي أن يكون في زيارته دائم الخشوع والحضور للزيارات كلها، ورب شخص يترك زيارة تكون خسارته للمدد الرباني كبيرة.

الفصل الثامن: صُورٌ من غُلُوِّ الصوفية -نثرًا وشعرًا- في تمجيد هذا الشعب

١- قال ابن عبيد الله السقاف في "إدام القوت" (ص ١٠١٧-١٠١٨): هو شعب مُتَّقِدٌ بالنور،

حلي بالسرور، شبيه بمنى من حيث الدور، فلا بدَّع أن يحيي فيه موضع قول الشريف الرضي:

فوالهفي كم بي من الخيف لهفة تذوب عليها قطعة من فؤاديا

وكيف لا يكون كذلك وهو مهبط وحي، ومقل نبوة، ومختلف ملائكة، ومتنزل سكيئة. اهـ.

٢- وقال في (ص ١٠٢٣): ولقد حضرت تلك المحافل المشهورة بذلك الشعب الشريف كثيرًا

من المرات، أولها التي لا أزال جامعًا منها يديَّ على غذاء الروح، وتباشير الفتوح. اهـ.

٣- وقال في (ص ١٠٢٧): وأيام الشعب بما فيها من الصفاء والأنس والأفراح والمزاورات، أشبه

بأيام منى من الجرادة بالجرادة، وفيها الدعاء يُجاب، والغمى تنجاب، والرحمى لا تنتقر، وشقاشق

الخطباء لا تقر، وثُمَّ تذرف العيون، وتغرق الجفون، وتبل الأردان، وتقشعر الأبدان، وترجف

القلوب، ويحصل المطلوب. اهـ.

٤- وقال في "بضائع التابوت" (١/ ١١٧/ مخطوط): وما رأيت أقفَّ للشعور، ولا أهنز للنفوس،

ولا ألد للأرواح من يوم ورودهم في موكبهم الضخم، بين خفق الأعلام، ودوي البنادق، وجرس

الطبول، ولكم خطبتُ في ذلك الحفل بقشعريرة لا أشك أنها من أثر شهود الأرواح العالية في ذلك

الموطن الشريف، مهبط الوحي، ومتنزل الملائكة، فخرج مني عن غير روية ما لا يزال يتعالم الناس

بأثره، من خشوع القلوب، وتندي الخدود. اهـ.

قلت: فانظر لا يجد أقفَّ للشعور، ولا أهنز ... الخ فأين مكة البلد الأمين، ومدينة خاتم النبيين؟!

٥- وقال عبد الله بن علوي الحداد في ديوانه "الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم" (ص ١٩٥):

ذكراني ليال قد خلت حول هود شعب قبر النبي المرسل وفيَّ العهود

إلى أن قال:

حيَّ عيدًا بها فاقت كل عيد مع رجال الوفا من منسين الجدد

قلت: هكذا يجزم بأن عيد الشعب فاق كل عيد، فهذا غلو ظاهر لذوي البصائر، فأين هذا القائل ومن ينقل كلامه مقرًا له من قول رسول الله ﷺ للأَنْصار لما قدم المدينة ووجدهم يلعبون في يومين من أيام الجاهلية: «لقد أبدلكم الله خيرًا منهما: عيد الفطر وعيد الأضحى».

٦- وقال عبدالرحمن بن عبدالله الفقيه كما في «الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم» (ص ١٩٦):

فاز زوار قبره في ذهاب وعود كم لنا من شيوخ، كم لنا من جدد

قلت: هكذا يجزم بفوز من زار هذا القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام.

٧- وقال عبد الله بن عمر الشاطري كما في «نيل المقصود» (ص ١٩١):

ذا شهر شعبان شهره هل شهر السعد ذا شهر شعبان فيه الخير مزنه يجود

يا فرحة القلب لي قالوا: دخل شهر هود شدود يا أهل المطايا للزياره شدود

٨- وقال أيضًا كما في «نيل المقصود» (ص ١٩٥):

قصاد بيت الكرم لي يكرمون الوفود نبغى كرامه من المختار طه وهود

نبغى كرامه عظيمة لي تحل العقود تصلح لنا أحوالنا تفتك عنا القيود

تحصل زياره بها تنزاح عنا النكد ويرجع الكل منا في هنا في السعد

قلت: انظر لهذا القائل يطلب كرامة من الأنبياء؛ لتحل بها كل عقدة، ويصلح بها الحال، وهذا شرك

بالله العظيم؛ لأن الكرامة لا تنال إلا من الله الوهاب، ولا تُطلب إلا منه واسع العطايا والهبات، وطلبها

من غيره وَالْعَالَمُ لا يجوز؛ لعجزهم عنها، وعدم سماعهم من يسألها، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ

لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، ولما حصلت له الشدة يوم بدر استغاث ربه، ولم يستغث ملكًا مقربًا،

ولا نبيًا مرسلًا، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

٩- وقال أيضًا كما في «نيل المقصود» (ص ١٩٨):

حول هود النبي المرسل نوينا الطهاره بعد ما قد رمينا للمعادي جماره

واغتسلنا وصلينا وقمنا جواره بخت من وقف حوله ومن كان زاره
 كم وكم عبد وقعت له هناك الاماره وارتقى حال عن وصفه تضيق العبارة
 يا رسول الهدى نظره تطفئ الحرارة تذهب الشَّوش عنا والكدر في جهاره
 قلت: فيه من الغلو قصد القبر للطهارة، وسؤال الرسول طفي الحرارة؛ ليذهب الشوش والكدر،
 وهذا أمر بيد الله، لا يملكه غيره، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].
 وما احتوته هذه الآيات من غلو: أن نوال الإمارة يكون عند القبر، وكذا الولاية كما في "زيارات
 وعادات" (ص ٢٩)، وكما في قصيدة علي بن أبي بكر المذكورة في "بذل المجهود" (ص ٩):
 وكم قد صفي قلب هناك لمذنب وكل ولي هاهنا من هنا ولي
 ١٠- قال العيدروس في "بذل المجهود" (ص ١١) عن عبدالرحمن السقاف أنه كان لا يفرح
 لأحد بشيء مثل فرحه له بزيارة قبر النبي هود عليه السلام.

خاتمة: نداء لكل مسلم غيور

إذا علمت -رعاك الله- ما تقدم ذكره، وقد ظهر لك خطره، فلا يجوز لمسلم غيور على دينه: أن
 يعين على هذه الزيارة بأي نوع من أنواع الإعانة لا برأي، ولا بهال، ولا بنفس، ولا بتجارة، ولا
 بطعام، ولا بشراب، ولا بشيء، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ
 بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال
 سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
 [المائدة: ٢]، وقال عز ثناؤه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِيَنَّ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصاص: ٥٥]، وقال جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا
 بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وإن خرافات القوم وتراهااتهم قد ثلثت بها كتبهم ومجالسهم، هذا على حسب ما ظهر، وما خفي منها كان أضر، وإن مدَّ الله في العمر، وهياً لنا وقتاً، نخلنا ما فيها، وأظهرنا باطلها، وكشفنا للناس كذبها - بحوله وقوته وإعانتته - .

وإني أدعو: كل غيور على عرين الإسلام، وعلى دعوة خير الأنام ﷺ، ومنهج الصحابة والسلف الأعلام رحمه الله، أن يبذل من وقته وعمره، وعلمه وأثره، ونظمه ونثره، وماله ومنصبه، وجاهه وحسبه، في كشف شر هذه الطائفة المُبَغَّضَةِ، وأمَّها الرافضة، وغيرهما من الطوائف المارقة، والفِرَقِ المنافقة، التي تنخر في الإسلام باسمه، وتُدْخِلُ سمومها تحت رسمه، وهم في بُعْدٍ ومنأى عن قواعده وفهمها، وأصوله وهضمها، فشمروا يا رجال الحق وحملة الهدى، لكشف حقيقة أهل الردى، ومنهج الخرافة، وفكر السخافة، وإن كان قد أبلى في الباب رجال، ولكن لا مانع من تكرار النصيح وبيان ما هم عليه من سوء حال؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] .

كتبه -بحول الله وقوته- نصحاً وإرشاداً:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد باجمال

ليلة السابع من شهر شعبان عام ١٤٣٦هـ

ثم تمت مراجعته والزيادة فيه - بحمد الله وتوفيقه -

عصر ١٧ من شهر ذي الحجة عام ١٤٣٨هـ

مسجد الفرقان - الحوطة - حضرموت

الدر المنضود في التنويه بكتاب الشهاب المرصود

مَنْ لَيْسَ يَقْبَلُ مَا يَقُولُ النَّاصِحُ يُرْدَى كَمَا يُرْدَى بِصَخْرٍ نَاطِحٍ
 اللَّهُ دُرُّكَ قَدْ قَلَعْتَ أَظْفَارًا بِشَهَابِكَ الْمَرْصُودِ وَهِيَ جَوَارِحُ
 وَغَضِبْتَ لِلتَّوْحِيدِ غَضَبَةً ضَمِيمٍ دَقَّ الْفَرِيسَةِ، وَالْوَجُوهُ كَوَالِحُ
 فَتَدَّتْ مَا زَعَمُوا مِنَ الشُّبْهِ الَّتِي زَعَمْتَ بِأَنَّ الْقَبْرَ قَبْرُ صَالِحٍ
 نَسَبُوا لَهْودٍ مَا ادَّعَوْهُ مِنَ الْفَرَى مِنْ غَيْرِ مَا سَنَدٍ لَدَيْهِمْ صَالِحٍ
 هَبْ أَنَّهُ قَبْرُ لَهْودٍ مِثْلًا زَعَمُوا فَهَلْ مِنْ حَجٍّ قَبْرًا رَابِعُ
 هَلْ أَنْبِيَاءُ الْعَالَمِينَ بِشِرْكِهِمْ يَرْضَوْنَ أَوْ يَرْضَى بِشْرِكٍ نَاصِحُ
 حَجُّوا لَهَا وَتَبَرَّكُوا بِتَرَاهَا وَمُقَبَّلٌ لِحَجَارِهَا أَوْ مَاسِحُ
 وَعِمَادُهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَرِيَّةٌ وَمُكَاشَفَاتٌ قَدْ رَأَاهَا طَالِحُ
 وَرَوَايَةٌ رُوِيَتْ بِضَعْفٍ عَنْ عَلِيٍّ فِيهَا لِمَنْ خَبَرَ الرِّوَايَةَ قَادِحُ
 وَبَقِيَّةُ الْحَجَجِ الَّتِي قَدْ أوردوا فِيهَا الدَّلَالُ بِهَا التَّخَرُّصُ وَاضِحُ
 فَإِذَا أَرَدْتَ النَّسْفَ لِلْحُجَجِ الَّتِي زَعَمُوا فَهَذَا السُّفْرُ جَيْشٌ كَاسِحُ
 فَأَمِلْ مِنَ الْحَقِّ الْحُسَامَ مُجَرَّدًا وَاضْرِبْ بِهِ مَنْ تَيَمَّنَتْهُ ضَرَائِحُ

نظمها:

شاعر أهل السنة باليمن الميمون

أبو عمر عبد الكريم الجمعي **حَفِظَهُ اللَّهُ**

شذا العود في التقديم لكتاب الشهاب المرصود

يا زاعماً منك الطواف لهود
قل لي بربك: من تبعت بجهلكم
هل طاف أحمد والصحاب بقبـره
وكذاك هل ضاهوا بشد رحالهم
لعن النبي محذراً فعل الذي
لكن بجهلك قد زعمت تقرباً
يا طائفاً حول القبور مُقَبِّلاً
تبغي التوسل، قد أتتكم بوارق
هي كالشهاب المحرقات لشبهة الـ
ولقاصدي الحق كنور ساطع
جادت بها أيـد المحق لعلمه
فأبان بطلان الخرافة جاهداً
أسماء بالشهب النيازك راصداً
الحج ليس إلى القبور وإنما
كلا ولا عرض الحوائج سائلاً
بل ذاك للرب الذي أنا عبده
وانظر هداك الله فيما خطه

إياك شناعة مشرك ويهود
هل غير فعلة كافر وجحود
وبنوا له صرحاً كصرح ثمود
فعل الحجيج لبيتـه المقصود
جعل القبور لقربة وسجود
بالشرك لم تفتأ وبالتنديد
أو ماسحاً وممرغاً لخدود
لمعت مدوية بصوت رعود
تنديد والتشريك للمعبود
يجلو الظلام لتائه ومريد
بالحق والتجريد والتوحيد
وضلال محنة ساقط مردود
من قد أتى شعباً وطاف بهود
بيت الإله المكرم المعبود
أهل القبور إجابة المقصود
في الدين والتوحيد والتجريد
وأبان من حق ومن توحيد

نظمها:

الشاعر الفاضل أبو عبد الرحمن معمر بن دحان الإبري حَفَظَهُ اللهُ

نثر الورود في تأييد الشهاب المرصود

الله أكبر عزّ من مقصود الله أكبر عزّ من مقصود
الله أكبر ناصراً من ينصّر الله أكبر ناصراً من ينصّر
الله أكبر كم أباد بجنده الله أكبر كم أباد بجنده
فمن الجنود: الشهب تحرق كل من فمن الجنود: الشهب تحرق كل من
ومن الجنود: شهاب ضرغام الوغى ومن الجنود: شهاب ضرغام الوغى
لله درك كم نسفت مزاعماً لله درك كم نسفت مزاعماً
بالله أين دليهم أن الذي بالله أين دليهم أن الذي
إلا مقالاً عن علي، ضغفه إلا مقالاً عن علي، ضغفه
وكذا استدلو من كلام توارخ وكذا استدلو من كلام توارخ
وكذا ببعض خرافة ضحكت لها وكذا ببعض خرافة ضحكت لها
بمكاشفات عن أئمتهم وهت بمكاشفات عن أئمتهم وهت
تباً لمن جعل الخيال دليله تباً لمن جعل الخيال دليله
صوفية تباً لها من فرقة صوفية تباً لها من فرقة
والله لو هوود يرى إصراركم والله لو هوود يرى إصراركم
وكذاك نخشى أن تكون نهاية وكذاك نخشى أن تكون نهاية
توبوا إلى الله الكريم من الهوى توبوا إلى الله الكريم من الهوى
ولتعلموا أن الدعاة إلى الهوى ولتعلموا أن الدعاة إلى الهوى
والحمد لله الذي كشف الردى والحمد لله الذي كشف الردى
لله در الشيوخ باجمال إذ لله در الشيوخ باجمال إذ
صلى الإله على النبي وآله صلى الإله على النبي وآله

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة فضيلة شيخنا العلامة أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حَفِظَهُ اللهُ
٦	المقدمة
٨	تمهيد.....
٨	المبحث الأول: وجوب اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.....
٩	المبحث الثاني: خطورة الافتتان بالقبور والبناء عليها.....
١٣	شبهة والجواب عليها.....
١٤	شبهة أخرى والجواب عليها.....
١٦	المبحث الثالث: موقف الصحابة من البناء على القبور، وشد الرحل إليها.....
١٨	الفصل الأول: هود عليه السلام ودعوته إلى التوحيد ومناذة الشرك وأهله.....
٢٣	الفصل الثاني: شعب هود حقيقة أم خرافة، وما هي أدلتهم على إثباته.....
٢٣	ما هو مستند القبوريين وعمدتهم في تحديد قبر نبي الله هود عليه السلام في ذلك الشعب؟.....
٢٣	دليلهم الأول: أثر علي بن أبي طالب عليه السلام
٢٨	الجواب على اعتمادهم على هذا الأثر بعد إيضاح ضعفه، وبيان سقمه:.....
٣٠	شبهة والجواب عليها:.....
٣١	قصة غريبة عن قبر هود:.....
٣٢	قصة أخرى عن قبر هود:.....
٣٣	دليلهم الثاني: أقوال بعض المؤرخين.....
٣٧	دليلهم الثالث: المكاشفات والإلهام والمنامات المزعومة.....
٤٣	أعجوبة من أعاجيب القوم في دعوى الكشف عن قبر نبي الله هود عليه السلام :.....
٤٣	أعجوبة أخرى:.....
٤٤	دليلهم الرابع: الاستفاضة.....
٤٦	دليلهم الخامس: الاستصحاب.....
٤٧	الفصل الثالث: من أول من زار هذا الشعب، ومتى تأسست الزيارة العامة.....
٥٢	الفصل الرابع: حجج الصوفية على شرعية زيارة شعب هود عليه السلام
٥٦	البراهين على أن هذه الزيارة قائمة على التأسّي بأهل الجاهلية:.....
٥٧	الفصل الخامس: كشف دعوى كاذبة من الصوفية.....

٦٠	الفصل السادس: شنائع الصوفية وطوامهم الواقعة في زيارة الشعب
٦٠	الشُّنعة الأولى: الوقوع في الشراكيات
٦٧	الشُّنعة الثانية: إطلاق عبارات مكذوبة ينسبونها لرسول الله ﷺ
٧١	الشُّنعة الثالثة: المجازفة بإطلاق عبارات ترويجية للزيارة
٧٦	الشُّنعة الرابعة: تقديس البقاع في الشعب
٧٦	الشُّنعة الخامسة: مناسك الزيارة مضاهاة للحج
٨٣	الشُّنعة السادسة: الغناء والرقص
٨٤	الشُّنعة السابعة: إظهار الأعلام والرايات
٨٤	الشُّنعة الثامنة: لو كان تعظيمهم لهذا القبر مشروعاً لكان هضماً لحق النبي ﷺ
٨٥	الشُّنعة التاسعة: قصد الشعب للعبادة والبركة
٨٧	الشُّنعة العاشرة: كبار الصوفية يسقون الناس من النهر بأيديهم
٨٧	الشُّنعة الحادية عشر: ادعاء المنامات المرغبة فيها
٨٨	الشُّنعة الثانية عشر: تصنيف الكتب في الحث عليها، وتزيينها، والتهوين من مخالفتها
٨٨	الشُّنعة الثالثة عشر: الرحلة للشعب من مختلف البلدان
٨٩	الشُّنعة الرابعة عشر: تشبيه المكان بمنى
٨٩	الشُّنعة الخامسة عشر: التناوب بالألقاب
٩٠	الشُّنعة السادسة عشر: قولهم في هود: يا سيد الرسل
٩٠	الفصل السابع: ما موقف كبار الصوفية من هذه الشنائع؟
٩١	الفصل الثامن: صُورٌ من غُلُو الصوفية -نثرًا وشعرًا- في تمجيد هذا الشعب
٩٣	خاتمة: نداء لكل مسلم غيور
٩٥	تقريظ شاعر أهل السنة أبي عمر عبد الكريم الجعفي
٩٦	تقريظ الشاعر أبي عبد الرحمن معمر بن دحان الإبي
٩٧	تقريظ الشاعر أبي بلال مصطفى النعمي
٩٨	فهرس الموضوعات